الفكر التربوي عند جون هولت وتطبيقاته التربوية
"دراسة تحليلية"

د. فتحية أحمد عبد القادر حسن
مدرس أصول التربية
كلية التربية جامعة الإسكندرية

الملخص

هدفت الدراسة الحالية لاستخلاص أفكار "جون هولت" التربوية من تحليل خمسة كتب له، واستنتاج أبرز التطبيقات التربوية لأفكاره والتي يُمكن تطبيقها في السياق التربوي المصري، ولتحقيق هدف الدراسة تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال تحليل الأدبيات التي تناولت حياة "جون هولت" وسيرته الذاتية للتوصل إلى أهم العوامل التي أثرت على شخصية "هولت" وأدت دورًا في تشكيل وصياغة أفكاره التربوية، وتحليل خمسة كتب ل"جون هولت" وهي: كتاب " كيف يفشل الأطفال"، وكتاب" كيف يتعلم الأطفال"، وكتاب " الحرية وما وراءها"، وكتاب "الهروب من الطفولة"، وكتاب "التعلم طوال الوقت"؛ وذلك لاستخلاص أفكار وأراء "هولت" التربوية، ومن ثم ترجمة هذه الأفكار لتطبيقات تربوية عملية، وخلصت الدراسة إلى تحديد عشرة مبادئ تربوية عامة وهي: الدعوة إلى " التعليم غير المدرسي" و"التعليم المنزلي"، واستحداث أدوار جديدة للمعلم، وإعادة النظر في مفهوم التعلم، والإيمان بحرية المتعلم، وحقة في توجيه وإدارة تعلمه، وأهمية اللعب في تعليم الطفل، والأسرة شريك في عملية التعلم، واحترام إيقاع ووتيرة الطفل في التعلم، والثقة في الطفل وقدرته على التعلم، وفاعلية التعلم القائم على النشاط، كما قامت الدراسة بترجمتها إلى عدد من التطبيقات التربوية منها؛ إتاحة مقررات تعليمية متنوعة ومرنة، و ضرورة التنوع في الوسائل التعليمية المستخدمة مع المتعلمين، وتوفير خيار " التعليم المنزلي" كصيغة تعليمية بديلة عن التعليم المدرسي التقليدي.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي، التطبيقات التربوية، التعليم المنزلي، التعلم اللامدرسي، حرية المتعلم، حقوق الطفل، التعلم الذاتي.

John Holt's Educational Thought and its Educational Applications (Analytical Study)

Dr. Fathia Ahmed Abdelkader Hassan
Lecturer of foundations of Education
Faculty of Education, Alexandria University

Abstract

The current study aimed to extract John Holt's educational ideas from an analysis of five of his books and to deduce the most prominent educational applications of his ideas that can be applied in the Egyptian educational context. To achieve the study's objective, the descriptive analytical approach was adopted. This was achieved by analyzing the literature on John Holt's life and biography to identify the most important factors that influenced Holt's personality and played a role in shaping and formulating his educational ideas. The study also analyzed five of John Holt's books: "How Children Fail," "How Children Learn," "Freedom and Beyond," "Escape from Childhood," and "Learning All the Time." This was done to extract Holt's educational ideas and opinions, and then translate these ideas into practical educational applications. The study concluded by identifying ten general educational principles: the call for "unschooling" and "homeschooling," the creation of new roles for the teacher, reconsidering the concept of learning, belief in the learner's freedom and right to guide and manage their learning, the importance of play in a child's education, the family as a partner in the learning process, respect for the child's rhythm and pace of learning, confidence in the child and their ability to learn, and the effectiveness of activity-based learning. The study also translated these principles into a number of educational applications, including the provision of diverse and flexible educational curricula, the necessity of diversifying the educational methods used with learners, and providing the option of "homeschooling" as an alternative educational format to traditional school education.

Keywords educational thought, educational applications, homeschooling, unschooling, learner freedom, children's rights, self-learning.

المقدمة:

يُعد الفكر التربوي الركيزة الأساسية في بناء المجتمعات وتطورها؛ حيث يُعبر عن مجموعة الأفكار والرؤى التي تواجه العملية التعليمية والتربوية نحو تحقيق أهدافها الاجتماعية والانسانية داخل المجتمع، وهذا ما يجعل الفكر التربوي أحد الركائز الأساسية في نهضة الأمم وتقدمها؛ حيث إن للفكر التربوى أهمية كبيرة منها؛ أنه قد يُساعد في مواجهة وحل بعض المشكلات التربوية لاسيما أن كثير من المشكلات التربوية المعاصرة لها جذور تاريخية تشكلت في الماضي، كما أنه قد يُفيد في تطوير الممارسات التربوية الحالية من خلال استخلاص الدروس المستفادة من دراسة فكر مُعين، أي أن للفكر التربوي دورًا في توجيه السياسات التعليمية وتطوير الممارسات التعليمية لمواجهة التحديات المحلية والعالمية، وحل المشكلات الأنية.

والفكر التربوي هو" وليد حركة المجتمع في بنيته الأساسية فهو إفرازها على صفحاته التي تعكس ظروفه الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، وتُشكل اتجاهاته ومساراته" (علي، ٢٠٠٦، ص٩)،أي أن التأثير متبادل بين الفكر التربوى كنتاج إنساني من جهة، وظروف المجتمع من جهة أخرى؛ فالفكر التربوي ينشأ في ظل ظروف مجتمعية مُعينة، ويتمخض عنه أفكار ورؤى لمواجهة مشكلات مُعينة في ظل هذه الظروف، وعليه فالفكر التربوي لأي مفكر إنما هو نتاج لتفاعله وتعاطيه مع ظروف المجتمع الذي عاش فيه.

ويُعد عقد الستينيات من القرن الماضي واحدًا من أكثر العقود تأثيرًا وتحولًا في تاريخ العالم المعاصر، فقد شهد هذا العقد مجموعة من الأحداث السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتي كان لها دور محوري في تشكيل ملامح الحاضر والمستقبل؛ وكان من أبرزها الصراعات الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وظهور التحديات الاقتصادية في الدول النامية، واستمرار النمو الاقتصادي في البلدان الغربية، وازدهار للحركات الحقوقية، وتصاعد الحركات الاحتجاجية والمطالبات الحقوقية، أما على الصعيد التربوي والتعليمي، والتي تُعد أنعكاسًا للظروف والأحداث المتصارعة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فقد شهدت هذه الفترة تطورات كبيرة في الانظمة التعليمية (أمين وأوتار،٢٠٠٤)، خاصةً مع سيادة ما تم تسميته " ثقافة الستينيات المضادة"وهي ظاهرة ثقافية مضادة للنظام المؤسسي، ومنها المؤسسة التعليمية المتمثلة في المدرسة.

فتتميز اتجاهات الفكر التربوي في ستينيات القرن العشرين بأنها لم تتطرق للمدرسة كمؤسسة تعليمية، بل عارضت وانتقدت المدرسة ونادت ببدائل تعليمية، وتربوية أخرى، وكان

الاستثناء الوحيد من هذا الأمر في تلك الفترة هو: الفيلسوف الأمريكي " جون ديوي"؛ حيث أهتم "ديوي"بالمدرسة ودورها الاجتماعي، وظهر ذلك جليًا في مؤلفاته والتي كان أشهرها كتاب" المدرسة والمجتمع"(نسيم،٢٠٢٣)، ومن المفكرين الذين انتقدوا المدرسة التقليدية "إيفان إيليتش"، و"إيفيريت رايمر"، و"جون هولت".

ويُعد" جون هولت" (١٩٢٣-١٩٨٥)أحد أبرز المفكرين التربويين ؛ فهو مُعلم ومُفكر أمريكي بللور أفكاره التربوية من خلال مراقبته وملاحظته لمئات الأطفال في أعمار مختلفة من سن مبكر وحتى مرحلة البلوغ والرشد، فأتخذ "هولت" من التجربة أساس لصياغة أفكارة بدلًا من الاعتماد على النظرية، ولقد ذاع صيته في ستينيات القرن الماضي بسبب كتاباتة ومؤلفاتة؛ حيث كان له عشرة كتب هي:

١. كتاب "كيف يفشل الأطفال؟" "How children fail "؛ والذي نشر لأول مرة عام ١٩٦٤ ثم صدرت نسخة منقحة له عام ١٩٨٢
٢. كتاب "كيف يتعلم الأطفال؟" "How children learn?"؛ والذي نُشر لأول مرة عام ١٩٦٧ ثم صدرت نسخة منقحة له عام ١٩٨٣
٣. كتاب "المدرسة ذات الأداء المتدني" "The Underachieving School" ؛ والذي نُشر عام ١٩٦٩
٤. كتاب "ماذا نفعل يوم الأثنين؟" "What do I do Monday? " ؛ والذي نُشر عام ١٩٧٠
٥. كتاب "الحرية وما وراءها" " Freedom and Beyond "؛ والذي نُشرعام ١٩٧٢
٦. كتاب "الهروب من الطفولة" " Escape from Childhood" ؛ والذي نُشر عام ١٩٧٤
٧. كتاب "بدلًا من التعليم" "Instead of Education" ؛ والذي نُشر عام ١٩٧٦
٨. كتاب "ليس متأخرا أبدًا:قصة حياتي الموسيقية" "Never Too Late: My Story Musical Life "؛ والذي نُشر عام ١٩٧٩
٩. كتاب "تعلم بنفسك" "Teach Your Own "؛ والذي نُشر عام ١٩٨١
١٠. كتاب "التعليم طوال الوقت" "Learning All the Time" ؛ والذي نُشر عام ١٩٨٩

فضلًا عن مقالاته الدورية التي كانت تُنشر بمجلة "GWS" النمو بلا مدارس" "Growing Without Schools"، والذي تبني فيها الدعوه للتعلم بدون تمدرس "unschooling"، والتعليم المنزلي "Homeschooling" والتي كانت السبب في أن يُطلق على "جون هولت" رائدًا للتعليم المنزلي .

والمتأمل في كتابات جون هولت يجده أنتقد نظام التعليم التقليدي بالمدارس وما أرتبط به الحضور الإجباري، و طرائق التدريس، وأنظمة التقييم القائمة على الأسئلة والامتحانات، وحتى أساليب التعزيز المختلفة المستخدمة، وغيرها من الممارسات التعليمية والتي لا تؤدي للتعلم الحقيقي للمتعلمين بل إنها تُعطل عملية تعلمه؛ لذا نجد هولت قد أهتم ببعض المصطلحات التربوية أهمها؛ " التعلم الحقيقي، و"التعلم الذاتي"، و"الحرية"، و"اللاتمدرس"، و"مؤسسة الطفولة الحديثة"، و"حقوق الطفل"، "استراتيجيات الهروب" وغيرها من المصطلحات التي تعكس فلسفته ورؤيته التربوية.

وعليه تُعد الدراسة الحالة بمثابة محاولة لإستجلاء أفكار "جون هولت" التربوية من واقع كتاباته ومؤلفاته بُغية العمل على تحويلها من المستوى النظري(أفكار) إلى المستوى العملي التطبيقي(ممارسات) متمثلة في التطبيقات التربوية المُستخلصة من هذه الأفكار.

مشكلة الدراسة

يشهد العالم اليوم تغييرات وتحولات متسارعة محلية وعالمية أنعكست على جميع المؤسسات في كافة المجالات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، ولم تكن المؤسسة التعليمية المتمثلة في المدرسة بمعزل عن هذه التغييرات، فصارت تُعاني من عديد من المشكلات، وتواجه جملة من التحديات التي تحول دون تحقيقها لإهدافها المرجوة؛ الأمر الذي أدى لتزايد الدعوات المُطالبة بتطوير المدرسة التقليدية بما يتلاءم مع متطلبات العصر الحالي، ويواجه التحديات، ويسهم في حل مشكلاتها، وفي هذا السياق يكتسب الفكر التربوي المعاصر أهمية خاصة كونه يضع الأسس النظرية التي يُرتكز عليها لتطوير الممارسات التعليمية .

ولقد أشارت عديد من الدراسات منها؛ دراسة(معوض وأخرون،٢٠١٨)، ودراسة(رضوان وأخرون،٢٠٢٠)، ودراسة(عبد العال وأخرون،٢٠٢٠)، ودراسة(طانيوس،٢٠٢٢)إلى أن التعليم المصري يُعاني من جملة من المشكلات لعل من أبرزها؛ مشكلة الغياب وزيادة مُعدل التسرب من التعليم وما ينتج عنه من هدر تربوي، وقصور عملية التقويم، واقتصارها على الامتحانات التحريرية، وسوء المباني المدرسية وعدم مناسبتها للأنشطة التعليمية، وعدم مسايرة المناهج

لمتطلبات العصر الحالي، وقلة أعداد المعلمين المؤهلين تربويًا، وارتفاع كثافة الفصول، فضلًا عن ضعف التواصل بين أولياء الأمور والمدرسة،وغيرها من المشكلات، ورغم العمل خلال سنوات طوال لحلها إلا أنها لا زالت موجودة بل تتفاقم وتتزايد باستمرار، وقد يرجع ذلك إلى أن مُعالجة هذه المشكلات تتم بشكلٍ جزئي والأمر يتطلب إعادة النظر في كل عناصر المنظومة التعليمية من معلمين، ومتعلمين، ومحتوى تعليمي، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم بل إعادة النظر في مفهوم التعليم ، وطبيعة الأطفال المتعلمين، وقدراتهم بل وميلهم الفطري للتعلم.

ويُعد "جون هولت"أحد أبرز المفكرين التربوين المعاصرين الذين قدموا نقدًا جذريًا للتعليم التقليدي ومؤسساته، ودعى لتبني منهجيات تربوية تضع في الاعتبار حقوق الطفل، وحريته في الاختيار، وتقوم على مفاهيم الحرية، والتعلم الذاتي، ومراعاة طبيعة الطفل؛ حيث أشار إلى أن المدرسة بصورتها التقليدية قد تتعارض مع طبيعة الطفل وميله الفطري للتعلم فتعوق نمو الطفل، وتثبط عمليتي التعليم والتعلم؛ وذلك بدلًا من دعمهما وتعزيزهما(Holt,1972)،(Holt,1982)

وعلى الرغم من أهمية أفكار "جون هولت" على المستويين النظري والعملي إلا أن مسألة تناول هذه الأفكار بالتحليل، والنقد لا زالت بحاجة لمزيد من الجهد البحثي لاسيما على الصعيدين العربي بعامة والمصري على وجه الخصوص، ومن هنا تبرز مشكلة الدراسة الحالية في محاولة لعرض وتحليل، ونقد أفكار" جون هولت" الواردة بكتاباتة ومؤلفاته للكشف عن أبرز أفكاره التربوية وإمكانية تطبيقها في السياق التربوي المصري بمل يُفيده، ويُسهم في حل مشكلاته، وعليه تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن الأسئلة الأتية:

١- ما العوامل المؤثرة في شخصية "جون هولت" والتي أسهمت في تشكيل أفكاره التربوية؟

٢- ما أبرز الأفكار التربوية عند " جون هولت"؟

٣- ما التطبيقات التربوية المستخلصة من أفكار "جون هولت"؟

أهمية الدراسة

تُمثل دراسة الفكر التربوي عند " جون هولت" أهمية كبيرة على المستويين النظري، والتطبيقي وهما كالأتي:

الأهمية النظرية:

تتجلى الأهمية النظرية للدراسة الحالية في :

- قد تسهم في سد الفجوة البحثية في مجال الفكر التربوي المعاصر خاصةً مع ندرة الدراسات العربية في هذا المجال.
- قد يستفيد من هذه الدراسة الباحثون التربويين، ويدفعهم لإجراء مزيد من البحوث في مجال الفكر التربوي لمفكرين تربوين آخرين.

الأهمية التطبيقية:

تتجلى الأهمية التطبيقية للدراسة الحالية في:

- قد تساعد المعلمين والقائمين على شئون التعليم في تطوير المدارس و العمل إعادة النظر في الممارسات التعليمية، وعناصر المنظومة التعليمية من مُعلم، ومتعلم، ومحتوى تعليمي استنادًا على أفكار "جون هولت".
- قد تُشجع هذه الدراسة على طرح ودعم صيغ تعليم بديلة عن التعليم المدرسي التقليدي في المجتمعات العربية، ومنها "التعليم المنزلي" Homeschooling .

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية لتحقيق ثلاثة أهداف هي:

١- الوقوف على العوامل المؤثرة في شخصية " هولت" والتي كان لها بالغ الأثر في بلورة وصياغة أفكارة التربوية.

٢- الكشف عن أبرز المفاهيم والأفكار والأراء التربوية ل" هولت".

٣-استجلاء أهم التطبيقات التربوية لأفكار" هولت".

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة الحاليةعلى تناول أفكار " جون هولت" التربوية من واقع كتاباته، واقتصرت الباحثة على قراءة وتحليل خمسة كتب لجون هولت وهي:

١. كتاب "كيف يفشل الأطفال؟" How children fail" "؛النسخة المنقحة عام ١٩٨٢

٢. كتاب "كيف يتعلم الأطفال؟" How children learn؟" "نسخة عام ١٩٦٧

٣. كتاب "الحرية وما وراءها" Freedom and Beyond " "النسخة المترجمة للغة العربية عام ١٩٧٨

٤. كتاب "الهروب من الطفولة" "Escape from Childhood " نسخة عام ١٩٧٤

٥. كتاب "التعليم طوال الوقت" "Learning All the Time" نسخةعام ١٩٨٩

وتم اختيار هذه الكتب لأن الكتابين الأول والثاني" كيف يفشل الأطفال؟"، " وكيف يتعلم الأطفال؟"هما الأشهر والأكثر مبيعًا من بين كتب "جون هولت"كما أنهما يُعبران عن المرحلة الفكرية الأولى في حياة "هولت" الفكرية، وهي المرحلة التي توصف فيها أفكار "هولت" بأنها إصلاحية، وقدم خلالها إرشادات، ونصائح للمعلمين والكبار القائمين على تعليم الاطفال لتحقيق تعلم حقيقي،كما قدم اقتراحات لإصلاح المدارس في ذلك الوقت.

أما الكتابين الثالث والرابع؛ " الحرية وما وراءها"، و" الهروب من الطفولة" فهما يُمثلان المرحلة الفكرية الثانية في حياة "هولت" الفكرية، وهي مرحلة تخلى فيها "هولت" عن أفكارة الإصلاحية وصارت أفكاره أكثر راديكاية ونادى فيها ببدائل للمدارس متمثلة في "التعليم المنزلي" ،كما أنه تناول فيهما أفكار وأراء يمكن من خلالها التعرف على فلسفته التربوية؛ فقد تناول مفهوم " الحرية" وما أرتبط بها من مفاهيم مثل" الحدود" و"مشكلة الاختيار" و"الأنضباط" و"استخدامات الحرية"، كما تناول مفهوم"حقوق الطفل"وأعاد تعريف "مفهوم الطفولة"،وحدد طبيعة الطفل وكيفية تعلمه.

أما عن الكتاب الخامس فهو كتاب"التعلم طوال الوقت " وهو كتاب نُشر بعد وفاة "هولت" وكان قد تركه "هولت" في صورة مخطوطات غير مكتملة ، ويُمثل هذا الكتاب خلاصة أفكاره وأرائه حول "اللاتمدرس" "Unschooling"

منهجية الدراسة وأجراءتها:

اعتمدت الدراسة الحالية للإجابة على أسئلتها، وتحقيق أهدافها على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الإجراءات الأتية:

١- عرض وتحليل المعلومات والسيرة الذاتية ل"جون هولت" لإستخلاص العوامل المؤثرة التي أسهمت في تشكيل أفكاره التربوية.

٢- قراءة وتحليل الكتب الخمسة المُختارة ل"جون هولت" و التوصل إلى أهم أفكاره وأرائه التربوية.

٣- تحديد أبرز التطبيقات التربوية لأفكار "جون هولت" والتي يُمكن تطبيقها في المجتمع المصري.

مصطلحات الدراسة:

تضمنت الدراسة الحالية مصطلحين هما؛ الفكر التربوي،والتطبيقات التربوية، وفيما يأتي عرض لكلٍ منهما.

الفكر التربوي:Educational Thoughts

يُقصد بالفكر التربوي:"كل ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الأنساني، وتنمية الشخصية الإنسانية، وشحذ قدراتها، وتتضمن النظريات والمفاهيم والأراء التي وجهت عملية تربية الإنسان عبر العصور"(زيادة،٢٠٠٦،ص٢١)، ويرى "ملكاوي"(٢٠٢٠) أن الفكر التربوي هو:"الأراء والمعتقدات والأهداف التي تحكم الممارسات التي تستهدف تنشئة الأبناء وإعدادهم لمسؤوليات الحياه بعمليات وأساليب مقصودة، تتم في الأسرة، وفي مؤسسات التعليم والتدريب والتوجيه والتثقيف والتوعية في المجتمع"(ص٢٢)

وتقصد الباحثة بـ "الفكر التربوي عند جون هولت" في الدراسة الحالية: "النتاج المعرفي من الأراء والأفكار والتي تحكم وتوجه الممارسات في مجال التعليم، وتربية النشء، والتي تضمنتها كتابات "جون هولت".

التطبيقات التربويةEducational Applications

يقصد "أبو جلالة"(٢٠٠١) بالتطبيقات التربوية أنها:"الاستفادة العملية التي يُمكن أن تُمارس في الميدان التربوي ، وذلك إما عن طريق الاستفادة من ذات النص، أو الموقف،أو بالاستنباط منه، بهدف إنماء شخصية الفرد بصورة متوازنة ومتكاملة وتشمل جميع جواني الشخصية"(ص١٩)، وتقصد الباحثة بالتطبيقات التربوية في الدراسة الحالية أنها "نتاج تحويل الأفكار والأراء التربوية لـ"جون هولت"من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي العملي بما يُسهم في تطوير العملية التعليمية وحل مشكلاتها".

الإطار النظري

ولتحقيق أهداف الدراسة الحالية والإجابة على أسئلتها قامت الباحثة بتحليل الأدبيات التي تناولت حياة "جون هولت" وسيرته الذاتية بغيةً التوصل إلى العوامل التي ساهمت في تشكيل شخصيته وبلورة أفكاره التربوية، ومن ثم تحليل الخمسة كتب المُختارة لاستخلاص أبرز الأراء التربوية ل" جون هولت"، وصولًا إلى اهم التطبيقات التربوية التي يمكن تطبيقها في الواقع التربوي المصري، والتي من شأنها أن تُسهم في حل مشاكله، وعلية فقد سارت الدراسة الحالية في ثلاث محاور هي:

أولًا: العوامل المؤثرة في تشكيل أفكار " هولت" التربوية.

ثانيًا: الأفكار التربوية عند "جون هولت".
ثالثًا: التطبيقات التربوية لأفكار"جون هولت".
وسيتم عرض كلٍ منها بشيء من التفصيل

أولًا: العوامل المؤثرة في تشكيل أفكار "هولت" التربوية:

يُعد "هولت" واحداً من أبرز المفكرين المنتمين لليسار الراديكالي (الجذري)، والذين أسهموا في تقديم القاعدة الفكرية، ووضع الأسس الفلسفية للتعليم المنزلي فهو يُنظر إليه كونه رائداً للتعليم المنزلي؛ حيث ترجع نشأة "التعليم المنزلي" في الولايات المتحدة الأمريكية USA لما حدث من اضطرابات اجتماعيات في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وما تبعها من انتقادات كبرى للمدارس من قبل معارضي التنظيم المدرسي من جهة، ومن المسيحيين المحافظين المعارضين للعلمانية المتزايدة بالمدارس من جهة آخرى، مما أدى لزيادة الطلب الإجتماعي لبدائل تعليمية للمدارس، وكاستجابة لهذه المطالب ظهر ما سُمى بـ"التعليم المنزلي" الذي وافق رغبات الإصلاح الراديكالي، والمسيحية المحافظة على حد سواء(Cochran, 1999)، ولقد أسهم في تشكيل وصياغة أفكار وأراء "هولت" الراديكاليه جملة من العوامل و الظروف، والتي يمكن إشتقاقها من ظروف نشأته، وعمله، وعلاقاته مع أقرانه، وظروف المجتمع الأمريكي في الستينيات من القرن الماضي وهو ما سيتم عرضه بشيء من التفصيل.

وُلِد"جون كالدويل هولت" (John Caldwel Holt) عام ١٩٢٣ م، وتوفى عام ١٩٨٥م، وكان أكبر ثلاثة أبناء في عائلة (أسرة) ميسورة الحال؛ حيث كان يعمل والده وسيط تأميني، والتحق "هولت" بمدرسة داخلية مرموقة في "نيوانجلاد" ثم التحق بجامعة أكثر شهرة، ولكنه دائماً ما يطلب عدم الكشف عن أسماء مدرسته وجامعته، ويقول مبرراً ذلك أنه: "لم يُعد مؤمناً بالشهادات وإنه إذا استطاع التخلص من شهاداته لفعل ذلك" كما يقول "أن الكثير مما يعرفه لم يتعلمه بالمدارس" (Allen, 1981)، كما أنه يرى أن تعليم الشخص هو جزء من شئونه الخاصة كما أن دينه وإنتماءه السياسي مسألة خاصة (sheffer, 1990)، كما أنه ضد مسألة الإعتماد على المؤهلات التعليمية، وينظر إليها كونها مشكلة إجتماعية (cochran, 1999).

أما عن طفولة "هولت" فقد وصفها بـ "الكئيبة"؛ حيث لم يكن محبوباً بالمدرسة الثانوية وفي الجامعة حسب ظنه؛ ورغم ذلك فإنه في المدرسة الداخلية كان يجد زملائه في الصف أمام بابه في أوقات الإمتحانات؛ حيث انتشرت شائعات مفادها أن "هولت" يشرح الرياضيات والعلوم بشكل أفضل من المعلمين، وتكرر الأمر في الجامعة، حيث أصطفت الطوابير أمام بابه

للحصول على دروس خصوصية، وإعطاء النصائح حول أوراق العمل، فهولت يحب مساعدة الناس وحل مشاكلهم فهو يصف نفسه ب "حلال المشاكل"(Allen, 1980)، أي أنه يحب حل مشاكله بنفسه، و يحب مساعدة الناس على حل مشاكلهم أيضاً، وقد يرجع ظن "هولت " بأنه غير محبوب ، وإن طفولته تعيسة وكئيبة إلى أنه عندما غلتحق بأول مدرسة في الخامسة من عمره، كان المعلمون ينادونه دائمًا باسم" هولت" – وهو اسم عائلته– ولا يكترثون به كشخص؛ فكل ما يهم المعلمون هو عمله أو مهامه كتلميذ؛ فإن كان آدائه جيدًا أثنوا عليه، وإن كان سيئيًا يُنتقد،(Holt,1982)، أي أن " هولت" لم يكن يحظى في المدرسة بالاهتمام من قِبل المعلمين، وأمتد الأمر لأبيه حيث يقول "هولت" أن والده كان دائمًا يُردد" أهم شيء في الدنيا هوكسب الرزق"(Holt,1989,p60)، ولم يكن يتكلم إطلاقًا عن أحوله المالية باستثناء هذه الجملة، وهذه العبارة إنما تدل على اهتمام وإنشغال والده الدائم بالعمل لكسب الرزق على حساب إهتمامه بولده وأسرته، فلم يكن لوالده دورفي تعليمه وتوجيه؛ حيث أقتصر دور الأب على توفير المال الكافي لإلحاق أبنه بالمدارس الراقية دون أن يلقى بالًا بميول واحتياجات " هولت"؛ مما جعله يصف طفولته ب" الكئيبة" والتعيسة".

تخرج "هولت" في الجامعة عام ١٩٤٣م، وعين ضابطاً في غواصه (يو اس اس باربيرو USS Barbero) التي شاركت في الحرب العالمية الثانية، ويصف "هولت" هذه التجربة (عمله في الحفاظ على توازن الغواصة) كونها "أفضل مجتمع تعليمي عرفه في حياته"، قد يقصد " هولت" بذلك أنه يتعلم من خلال الممارسة والعمل، فالتعليم هنا لم يكن منفصلًا عن الحياه والعمل، ثم بعد تدمير "هيروشيما" بالقنبلة الذرية ظن "هولت" أن نهاية العالم مسألة وقت، وأن هناك خطراً على الحضارة البشرية، وكره الحروب وانتقد خوض أمريكا لحرب فيتنام وأمتنع عن دفع الضرائب الفيدرالية بشكل مؤقت، وأيقن أن الأسلحة النووية هى أكبر خطر، وأنه لابد من وجود حكومة عالمية يمكنها منع الحروب النووية، لذا بدأ العمل مع منظمة "الفيدراليين العالميين المتحدين" "United World Federalists"،والتي تعرف اختصاراً بـ (UWF)، وهى منظمة غير ربحية غايتها تحقيق السلام في العالم تأسست عام ١٩٤١م، وفي عام ١٩٥٢م غادر "هولت" المنظمة وذهب في رحلة لـ "أوروبا" بعد أن يأس من جدوى وفعالية المنظمة (Allen, 1981)

وعندما عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية (USA)، بحث عن عمل ذي معنى وفكر في الزراعة، ولكن نصحته شقيقته بالعمل في التدريس؛ لما لاحظته من تفاعله بشكل إيجابي مع

أطفالها، وبالفعل عمل بمدرسة "روكي ماونتن" "Rocky Mountion" وعمل بعدها في ثلاثة مدارس آخرى، طرد منها جميعاً – رغم نجاحه في عمله– لأسباب عديدة أبرزها اصراره على عدم جدوى الاختبارات التحصيلية بل وضررها الشديد على التعليم، ولم يكن العمل بالتدريس غاية في حد ذاتها لدى "هولت" حيث أكد "هولت" على: "أن المدارس دائماً ما كانت وسيلة لتحقيق غاية بالنسبة لي، وكان علي العمل في المدارس من أجل الإجابة على أسئلتي حول التعلم وذكاء الأطفال، لكنني لم أُعرف نفسي ابداً كمعلم مدرسة"(Sheffer, 1990)

أما عن أبرز اهتمامات "هولت" فقد ذكر أحد أصدقائه أنه "يبدو أن الكثير يدور في رأسه دفعة واحدة، وكلما خطرت له فكرة ينطلق وراءها على صهوة جواده ... ويبدو أن على رأس قائمة اهتماماته، الكتابة، والأطفال، وعزف التشيلو، وعلم البيئة، والطعام، واللياقة البدنية، دون ترتيب محدد، ففي أي يوم قد يسيطر إحداها على الآخرين،فيندمج فيها بكل نشاط، ورغم اهتمامه الواضح بالأطفال إلا أنه لم يتزوج طوال حياته.(Allen,1980)، أما عن شخصية " هولت "فقد أشارديبسون "Dennison "في مقدمة كتاب " التعلم طوال الوقت" إلى أبرز الملامح التي تُميز شخصية "هولت" في قوله:"إذا أراد المرء أن يعرف معنى الأخلاق فما عليه إلا أن ينظر إلى مجاملات "جون هولت" العادية، ....إنه كان رجلًا مُتحضرًا بحق– مخلوقًا نادرًا بحق، وكان أسلوبه ككاتب أمتدادًا لشخصيته، فاللجوء إلى العقل والتجربه هو في الواقع أكثر الأساليب تحضرًا،إنه متواضع،وفي نفس الوقت واثق، بل ومغامر"(Holt,1989,p1)، أي أن "هولت "يوصف بأنه شخص متعدد الاهتمامات، ومتحضر، ويهتم بالتجربة ويقدمها على النظرية، كما أنه خلوق، ومتواضع ، وواثق من نفسه، ومغامر يخوض التجارب بشجاعة.

ولقد كانت فترة الستينيات من القرن الماضي واحدة من أكثر العقود إضطرابًا وأنقسامًا؛ فلقد شهدت الكثير من الأحداث لعل من أبرزها؛ صعود حركات الحقوق المدنية، وحرب فيتنام، والاحتجاجات المناهضة للحرب، والاغتيالات السياسية، وصعود أول إنسان على سطح القمر، وقد أُطلق على هذه الفترة اسم" العقد الثقافي"؛ حيث أنها كانت مرحلة لتحول الوعي في ثقافة المجتمعات الغربية بشكلٍ كبير بما شكل " ثورة ثقافية كبرى"، وساد في تلك الفترة ما تم تسميته "ثقافة الستينيات المضادة"وهي ظاهرة ثقافية مضادة للنظام المؤسسي قد نشأت في المملكة المتحدة والولايات المتحدة ثم تطورت وانتشرت لتشمل معظم دول العالم الغربي.(عبد الهادي،٢٠٢١)، وامتدت هذه الظاهرة(ثقافة الستينيات المضادة) لتنال من المؤسسة التعليمية المتمثله في المدرسة؛ فانتقد الكثيرون في تلك الفترة المدرسة وممارساتها.

وفي إطار الانتقادات الواسعة للمدرسة ظهرت محاولات إصلاحية كان أبرزها الدعوة إلى "ضرورة توفير مزيد من الحرية في التعليم"، فركزت جهود مصلحي المدارس لجعل الفصول الدراسية التقليدية أكثر انفتاحاً، وإنشاء ما عرف لاحقاً بـ "المدارس الحرة" "Free school"، وقد انخرط "هولت" في هذا من خلال كتاباته، حيث نشر كتابين هما الأشهر في ذلك الوقت لـ "هولت"، وهما: كتاب "كيف يفشل الأطفال" "How children to fail" عام ١٩٦٤م، وكتاب "كيف يتعلم الأطفال" "How children to learn" عام ١٩٦٧م، ثم نشر كتاب ثالث بعنوان: "المدرسة ذات التحصيل المتدني" "The underachieving school" عام ١٩٦٩م، وبعدها نشر كتابه الرابع هو كتاب "ماذا أفعل يوم الأثنين؟" "What do I do Monday" عام ١٩٧٠م، وقد انتقد "هولت" في كتبه الأربعة الأوائل الممارسات التعليمية المتمثلة في الاختبارات، والتقييمات، والمناهج، وممارسات المعلمين، وقدم إرشادات، ونصائح للمعلمين حول كيفية إصلاح المدارس وتحويلها إلى أماكن أفضل لتعليم الأطفال، وخلق أشخاص أكثر سعادة (Holt, 1970)، (Holt, 1967)، (cohran, 1999).

وقد ركز "هولت" وغيره من المصلحين أمثال دينسون Dennison، وهيرندون Herndon، وجيرين Gereene، على تقديم مقترحات للتغيير؛ حيث كانوا أصحاب "حركة إصلاح التعليم"، وأشارت وسائل الإعلام لهؤلاء المصلحين باسم "مصلحي المدارس"، أو "النقاد الرومانسيين"، ووجد"هولت" نفسه مصنفاً كأحد هؤلاء النقاد الرومانسيين، فبدأ بالتواصل معهم، لأنهم جميعاً يسعون لتحقيق غاية مشتركة، وكان رأي "هولت" في تلك الفترة التي يسميها "هولت" بـ "فترتي المتحمسة" متمثلة فيما قاله وهو: "بدا لي ولحلفائي أنه في غضون بضع سنوات قد تحدث مثل هذه التغييرات في عديد من المدارس" (Sheffer, 1990).

ويُعد المفكر " دينيسيون""Dennison"من أكثر المفكرين التربويين قربًا من " هولت"؛ حيث أنهما يتفقان في معظم أفكارهما حول تعليم الطفل وتربيته، ويظهر هذا القرب فيما قاله "هولت" في مقدمة كتاب " دينيسيون" "Dennison"المعنون ب"حياة الأطفال: قصة مدرسة الشارع الأول "؛ حيث قال:"عندما كنت أتحدث إلى المعلمين أو إلى أي شخص معنى بالتعليم كنت أقول رغم وجود العديد من الكتب الحديثة المنشورة حول التعليم(ومنها كتابي) إلا إنني أرى إنه إذا كان لديهم الوقت لقراءة كتاب واحد فقط، فينبغي أن يكون كتاب "حياة الأطفال" فهو بلا شك أكثر الكتب إدراكًا، وتأثيرًا، وأهمية في مجال التعليم مما قرأت" (Dennison,1969,p1)

وصارت أفكار "هولت" أكثر راديكالية في أوائل السبعينيات من القرن الماضي، وذلك بعد زيارته لمركز "إيفان إيليتش" للتوثيق بين الثقافات، وتأثره بأفكار "ايليتش" الداعية إلى "اللاتمدرس"، والتي ظهرت جلياً في كتابه "مجتمع بلا مدارس" عام ١٩٧٠م، للدرجة التي جعلته يرى في إيلتش "نبياً" وفي نفسه "خبيراً تكتيكياً"، قادراً على تحويل رؤيته لواقع؛ فبحلول منتصف السبعينيات من القرن الماضي لم تؤتي جهود الإصلاح المدرسي ثمارها، حيث أغلقت المدارس المجانية لنقص التمويل، وزالت التغييرات التي بدت واعدة للغاية، وفُصِل المعلمون الذين جربوا أساليب التدريس الجديدة، الأمر الذي جعل "هولت" يتوصل إلى نتيجة مفادها فشل حركة الإصلاح المدرسي، بل أدرك فشل التعليم المدرسي نفسه كونه "أن التصميم ذاته خاطىء" (sheffer, 1990)،، فيقول "هولت" عن زيارته لمركز "إيلتش" أنها جعلته يشعر بقوة أكبر من ذي قبل بأن النظام التعليمي العالمي أشد ضررًا من شرور العصر الكبرى الاخرى (Sheffer,1990)

وبناءً على تأثر "هولت" بأفكار "إيليتش" من جهة، وإدراكه لفشل التعليم المدرسي من جهة آخرى، نشر "هولت" كتباً آخرى مثل كتاب "الحرية وما وراءها" ١٩٧٢ " Freedom and Beyond"، وكتاب "الهروب من الطفولة" "Escape from childhood 1974"، و أصدر "هولت" مجلة "النمو بلا مدارس" Growing without Schools والتي تعرف اختصاراً بـ (GWS)، والتي تأسست عام ١٩٧٧ م، وكانت أول مجلة تنشر حول التعليم المنزلي " Home schooling" "والتعليم اللامدرسي" "Un schooling"، وحرر "هولت" هذه المجلة خلال سنواتها الثماني الأولى، وبفضل نشاط وحماس محرريها اللاحقين استمرت هذه المجلة ستة عشر عاماً بعد وفاة "هولت"، وتناولت إصدارات هذه المجلة مقالات تتضمن طرق تُمكن الناس من التعلم، واكتساب المهارات دون الحاجة للخضوع لعملية التعليم التقليدية (www.johnholtgws.com)، وكانت هذه المجلة هى محور عمل "هولت" منذ عام ١٩٧٧ وحتى وفاته ١٩٨٥، والآن يوجد مجلة الكترونية تحمل اسم (GWS) وهي مجلة متخصصة في التعليم المنزلي وتُعد أمتدادًا لمجلة هولت، وينشر خلالها أعمال "هولت" كما تُقدم نصائح، وإرشادات حول التعليم المنزلي، ويتبادل خلالها نتائج تجارب الأباء والأمهات الذين تبنوا فكرة التعليم المنزلي وطبقوها مع أطفالهم.

ومما سبق يمكن استخلاص أبرز العوامل التي أثرت في شخصية "هولت" وشكلت أفكاره، وآرائه التربوية وهى كالآتي:

- **نشأته، وطفولته؛** فقد نشأ في أسرة محافظة حريصة على التعليم التقليدي بالمدارس المرموقة، بغض النظر عن رغبة وإحتياجات الأطفال، فقد وصف طفولته ب" الكئيبة" أي أنه يرى أن طفولته كانت حزينه وتعيسة؛ وقد يرجع ذلك أنه كان مجبرًا فيها على أمور عديدة لم يكن له خيار أو إرادة فيها مثل إلتحاقه بمدرسة داخليه، وجامعة معينة، وتخصص علمي مُحدد.
- **عمله بالبحرية؛** رغم أنه يعد (البحرية) " أفضل مجتمع تعليمي" إلا أنه فقد الثقة به وكرهه، بعدما ادرتبط بالحروب، والدمار ، وسيادة الخوف والقلق.
- **عضويته في منظمة " الفيدراليين العالميين المتحدين"**؛ كشف إنضمامه لهذه المنظمة حبه للسلام وكراهيته للحرب، كما كشف عن إيجابيته، ورغبته في إحداث تغيير من خلال عضويته بالمنظمة، والتي تسعى لتشكيل حكومة عالمية يكون لها صلاحيات تُمكنها من منع الحروب في العالم.
- **عمله بالتدريس في عدة مدارس؛** والذي ركز خلالها على ملاحظة ومراقبة الأطفال في المواقف الطبيعية، فهو يقول أنه استمد آراءه من خلال ملاحظة المئات من الأطفال في مراحل عمرية مختلفة منذ أن كانوا رضع حتى وصلوا إلى سن البلوغ والرشد، فهو لم يستمد النظرية من النظرية وإنما خضع الأمر للتجربة وحيِّد عقله أو أجل تفكيره لما سوف تسفرالتجربة عنه.
- **تأثره بأراء معاصريه من المفكرين أمثال "أيلتش"**؛ فتواصله مع "ايلتش " وزيارته لمركزه وتأثره بكتابه" مجتمع بلا مدارس" جعله يدرك خطورة المدارس التقليدية؛ وأخذ يبحث عن بدائل أخرى أفضل منها.
- **أحداث الستينيات من القرن الماضي بأمريكا؛** حيث سادت في تلك الفترة اضطرابات كبيره على جميع الأصعدة وفي كافة المجالات ؛ السياسية والأقتصادية، والاجتماعية والثقافية والتربوية، وكان لها دور كبير في بلورت أفكار "هولت" التربوية، والتي يمكن من خلالها تمييز مرحلتين فكريتين لدى "هولت" أحدهما: في فترة الستينيات وهي: أفكار إصلاحية داعية لإصلاح المدارس من خلال تقديم النصائح للمعلمين وتوعيتهم بطبيعة الأطفال وطرق تعليمهم، والأخرى: فترة السبعينيات وما بعدها ، والتي يمكن وصفها بأنها أفكار أكثر ثورية ضد المدارس، وباحثة عن بدائل والتي منها " التعليم المنزلي" Home shooling .

ثانيًا: الأفكار التربوية عند "جون هولت"

يمكن إجمال أفكار "هولت" التربوية في مقولتين الأولى هي:"للأطفال رغبة جامحة في فهم العالم قدر الإمكان، حتى ما لا يرونه ولا يلمسونه، وفي اكتساب مهارة وكفاءة للتحكم فيه وعليه قدر الإمكان؛ هذه الرغبة وهذه الحاجة لفهم العالم والقدرة على التصرف فيه قوية لدرجة يمكن وصفها على أنها بيولوجية، إنها قوية تمامًا كالحاجة للطعام، والدفء، والمأوى، والنوم، والحب، بل هي في الواقع قد تكون أقوى من أيٍ منهم"(Holt,1989,p115)، والثانية هي:" إننا متعلمون بالفعل طوال حياتنا، الحياه تعلم، من المستحيل أن تكون حيًا وواعيًا (وقد يكون البعض غير واعيًا) دون أن تتعلم أشياء باستمرار؛ فإننا نتلقى أنواعًا مختلفة من الرسائل من بيئتنا طوال الوقت، نستوعبها بشكلٍ أو بأخر ونستفيد منها، نعيش الواقع باستمرار وندمجه بطريقة أو بأخرى في نموذجنا الذهني للكون"(Holt,1989,P113)، ومن هاتين المقولتين يمكن أن تختزل رؤية هولت التربوية في عدة مبادئ هي: الثقة واحترام قدرات الطفل، الميل والرغبة في التعلم حاجة فطرية عند الطفل، تعلم الطفل يتم بشكل طبيعي وتلقائي، التعلم يحدث طوال الوقت (مبدأ التعلم المستمر مدى الحياه)، والتعلم من الحياه الواقعية المُعاشة، والتعلم الذاتي ؛ حيث يتعلم الطفل بنفسه دون تدخل من الكبار، وهذه المبادئ انعكست على كلٍ من مفهوم التعلم ، وطبيعة المتعلم، وأدوار المعلم، وطرائق التعلم، وكذا أساليب التقييم، كما أفرزت مفاهيم جديدة ذات دلالات مُغايرة عما كان سائدًا في تلك الفترة.

وبناءً عليه سيتم طرح أبرز أفكار هولت التربوية في محورين هما؛ الأول: أفكار " هولت" التربوية حيال عناصر العملية التعليمية المتمثله في مفهوم عملية التعليم ، والمتعلم ، والمعلم ، والمحتوى التعليمي، وطرائق التعلم، وأساليب التقويم،ومكان التعليم التقليدي(المدرسة)، والثاني: المفاهيم التربوية الأساسية في فكر " هولت" وهو ما سيتم تناوله بالتفصل

١- أفكار "هولت" التربوية حيال عناصر العملية التعليمية

يرى "هولت" أن العملية التي تُسمى بالخطأ "التعليم"، والتي تجري في معظم المنازل والمدارس وتمارس من قبل البالغين (الكبار) هى "عملية تدمر معظم القدرات الفكرية والإبداعية للأطفال من خلال ما نفعله لهم أو نجبرهم على فعله" (Holt, 1982, P166)، فهو ينتقد معنى كلمة "تعليم" الشائعة عند أغلب الناس والتي تعني " الإجبار على الذهاب إلى مكان يُدعى "مدرسة" وإجبارهم هناك على تعلم شئ لا يرغبون في تعلمه تحت تهديد أن يلحق بهم

أذى إن لم يفعلوا، ومعظم الناس لا يحبون هذه اللعبة، ويتوقفون عن لعبها بأسرع ما يمكن" (Holt,1967,p18)، أي أنه ضد إقتران عملية التعليم بـ "الإجبار"، أو "القسر"، ويرى في ذلك تدمير لقدرات الطفل ، وتعطيل لعملية تعلمهم.

يؤكد" هولت" على أن الأطفال يريدون التعلم ولكن بالطريقة التي يريدون بها التنفس، فالتعلم مثل التنفس في كونه عند الأطفال فعلًا لاراديًا، وإنهم لا يفكرون:" الآن سأتعلم هذا أو ذاك"؛ فمن الطبيعي أن ينظروا حولهم، وأن يدركوا العالم بحواسهم، وأن يدركوا معناه دون أن يعرفوا إطلاقًا كيف يفعلون ذلك أو حتى أنهم يفعلونه"(Holt,1989,p100)، وعليه "فتعلم الطفل" يمثل فعل لاإرادي، يتعلم الطفل بشكلٍ تلقائي، وعفوي، ولاإرادي من خلال تفاعله الطبيعي مع البيئة من حوله.

كما يؤكد "هولت"على أن "لا يحتاج الأطفال إلى إجبارهم على التعلم، أو إخبارهم بما يتعلمونه، أو تعليمهم كيفية تعلمه، فإذا أتيح لهم الوصول إلى ما يكفي من العالم، بما في ذلك حياتنا وعملنا فيه، فسيدركون بوضوح تام ما هى الأمور المهمة حقاً لنا وللآخرين، وسيشقون لأنفسهم طريقاً أفضل إلى هذا العالم أكثرمما يمكننا أن نشقه لهم" (Holt, 1967, P79)، أي أنه يؤكد على أن الطفل يستطيع بنفسه أن يتعلم ما يرغب في تعلمه دون تدخل من قِبل الكبار، وأن واجب الكبار في هذا الأمر يتمثل في إتاحة الفرصة للأطفال لكي يتفاعلون مع العالم من حولهم ، وذلك من خلال تهيئة البيئة المحيطة بهم.

ويتعلم الطفل من خلال "استكشاف العالم من حوله، وبناء المعرفة من خلال أسئلته وأفكاره، وتجاربه"(Holt,1989,p71)"، أي أن التعليم هو "مساعدة الأطفال على استكشاف العالم من حولهم"(Holt,1989,p106)، وبالتالي فالتعلم الحقيقي المرغوب فيه عند "هولت" هو استكشاف الطفل للعالم من حوله، وفهمه، وتطبيق ما فهمه؛ فالتعلم هو نتاج عملية التعليم ، ولكنه ليس نتاجًا للتعليم المنظم فحسب ، لذا يرى "هولت"بعدم صحة مقولة" يعتمد التعليم المنظم على أفتراض أن الأطفال يتعلمون عندما، وبماذا، ولأننا نعلمهم فحسب" (Holt,1989,p115)، فالتعليم لا يعني أن يختار الكبار الأشياء التي يريدون أن يتعلمها الصغار، وبالطريقة التي يراها الكبار مناسبة لتعليمهم، وفي الوقت الذي يناسبهم من وجهة نظر الكبار؛ ولكن التعليم المقصود عند "هولت" يتمثل في تقديم المساعدة للصغارفي تعلم ما يريدون تعلمه وفي الوقت الذي يناسبهم وذلك عندما يطلبونها، وإعداد البيئة التعليمية، وتهيئتها،

وتدعيمها بالموارد والمصادر التعليمية التي تُمكن الصغار من التفاعل معها، ومن ثم يحدث التعلم الحقيقي المرغوب.

ويفرق "هولت" بين مفهوم التعلم الحقيقي، ومفهوم التعلم الناتج من التعليم المدرسي، فمفهوم التعلم عند "هولت"والذي حدده في كتابه المُعنون ب" التعلم طوال الوقت" هو: "فهم العالم من حولنا بشكل أفضل، والقدرة على القيام بأشياء أكثر فيه، أما التعلم في المدرسة فهو يعني تذكر إجابات أسئلة المعلمين، والذكاء في تخمين الأسئلة التي سيطرحونها ، وكيفية خداعهم عندما لا تُعرف الإجابات"(Holt,1989,p2)، لذا يرى" هولت" أن سؤال: كيف أتعلم التاريخ؟ يحمل في طياته سؤالين لكلٍ منهما معنى مُغاير عن الأخر، وهما: كيف أتعلم المزيد عن التاريخ، والسؤال الأخر هو: كيف أحصل على درجات أفضل في مقرر التاريخ؟، وهما مختلفان تمامًا، فالأول يحمل معنى التعلم الذي يعنيه "هولت"، أما الأخر فهو يُمثل المعنى الشائع للتعلم وهو: مجرد تذكر الإجابات أو محاولة الهروب منها.

أما عن "التدريس" وعلاقته ب"التعلم" فقد استخلص "هولت" من واقع خبرات بعض المعلمين مسلمتين أو قاعدتين هما:" الأولى: التعلم ليس نتاجًا للتدريس، والثانية: التدريس لا يصنع التعلم" بل أن الأمر يتجاوز ذلك إلى " أنه عندما يتم التدريس بدرجة أقل يتعلم الأطفال أكثر" (Holt,1989,p115)، أي أن "التدريس" والذي يتمثل في الإتصال المباشر بين المعلم (كمالك للمعرفة ومرسل) والمتعلم(جاهل ومتلقي سلبي)، لا يؤدي لإحداث التعلم الحقيقي.

وبناءً عليه فإن مفهوم "هولت" للتعلم والتعليم والتدريس مُغاير عما هو شائع عند الكثيرين؛ فالتعلم الحقيقي عنده يتجاوز مفهوم "التعلم الذاتي" الذي يعني أن يتعلم الطفل المفترض أن يتعلمه بنفسه، أي أن محتوى التعليم ووقته محدد مسبقًا من قبل الكبار، وكل ما يفعله المتعلم هو أن يتعلم ذلك بطريقته الخاصة دون الحاجة للمعلم؛ لكن "التعلم الذاتي" عند" هولت" يتجاوز ذلك فالطفل يحدد بنفسه ما يريد أن يتعلمه، ويستخدم طريقته الخاصة في تعلمها، وفي الوقت والمكان الذي يختاره، وبالسرعة التي تناسبه دون الحاجة لمساعدة الكبار، وبناءً عليه فالتعليم يقتصر على فهم حاجات وميول الأطفال، وتهيئة البيئة من حوله عند طريق تزويدها بالمصادر والأدوات التعليمية الواقعية ، وتقديم المساعدة بالقدراليسير للطفل عندما يطلبها، أماعن "التدريس" فيرى أنه مُضر لعملية التعلم ؛ حيث أنه يعطل وقد يوقف عملية التعلم ، وبالطبع انعكس مفهوم "هولت" لكل من التعلم، والتعليم والتدريس على أرئه وأفكاره حيال عناصر عملية

التعليم المتمثلة في المتعلم، والمعلم، والمحتوى التعليمي، وطرق التعلم، وأساليب التقييم، وكذا المدرسة وهو ما ستم تناولة في الأتي.

ا- طبيعة الأطفال

يصف" هولت" الأطفال بأنهم "بطبيعتهم ذوو براعة ومكر! وفيهم طاقة نشاط، وحب استطلاع ، وتلهف على التعلم، ويحسنون التعلم، بحيث إنه لا حاجة إلى رشوتهم أو إكراههم ليتعلموا ، وإنهم يتعلمون على أفضل الوجوه عندما يكونون سعداء نشيطين منهمكين ومهتمين بما يصنعون ، وإن تعلمهم يصبح أقل ما يكون عندما يسأمون، أو يقع عليهم التهديد والإذلال والتخويف" (هولت،١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٢)، أي أن الأطفال لديهم حب استطلاع، وميل فطري للمعرفة والتعلم، وانهم يتعلمون بشكل أفضل عندما يشعرون بالأمن والسعادة، وأن الإجبار والقلق والخوف يُضعف ويقوض من عملية التعلم.

ووصف" هولت" الطفل بأنه فيلسوف حيث يؤكد " هولت" أن" الأطفال أكثر قدرة مما نتصور .....فهم بشكلٍ ما فلاسفة؛ حيث يحبون حل التناقضات، وتقلقهم المفارقات، ويحبون أن تكون الأمور منطقية، لكن عليهم أن يفعلوا ذلك بطريقتهم الخاصة، وفي وقتهم الخاص"(Holt,1989,p109)، فالطفل فيلسوف صغير من وجهة نظر "هولت" ؛ لأنه لا يحب التناقض، ويحاول حل المفارقات، ويطرح عديد من الأسئلة العميقة، لكنه يفعل ذلك بطرق خاصة تختلف عما يفعلها الفيلسوف.

كما وصف "هولت" الأطفال بأنهم علماء لأنهم"لا يكتسبون المعرفة بل يصنعونها" (Holt,1989,p75)؛ فهم في سبيلهم لصناعة المعرفة يفعلون كما يفعل العلماء، والاختلاف بين الأطفال (العلماء الصغار)، والعلماء الكبار يكمن في أن الأطفال عادةً ما يجهلون هذه العمليات فهم لا يدركون إنهم يُلاحظون، ويُنّظرون، ويُختبرون، ويُراجعون.(Holt,1989)، أي أنهم يقومون بالعمليات التي يقوم بها العلماء بشكلٍ تلقائي،وعفوي،ودون تخطيط مسبق، بل إنهم لا يدركون ما يفعلونه؛ فيقول" هولت":" أن الأطفال يتصرفون كالعلماء طوال الوقت أي ينظرون، ويلاحظون، ويتساءلون،ويُنظّرون، ويختبرون نظرياتهم، ويغيرونها كلما دعت الحاجة"(Holt,1989,p96)

ويرى "هولت" أن الأطفال وخاصة الصغار منهم حساسون جداً وعاطفيون"، فهو يرى أنه "ليس صحيحاً"، أو على الأقل ليس صحيحاً دائماً أن الأطفال الصغار يفتقرون إلى التعاطف، فقد يوصف الأطفال أحياناً بـ "أنهم قساه على بعضهم البعض" لكن "هولت" يرى أن قسوتهم

غالباً ما تكون "قسوة تجريبية(Holt,1967,p22)؛ أي لمعرفة نتيجة أفعالهم التي قد تكون بمظهر قاس كضرب الطفل كطفل آخر، ويرجع ذلك إلى ما لدى الطفل من "رغبة جارفة لمعرفة ما سيحدث".

ويفترض "هولت" أن الأطفال خيرين بطبيعتهم ، وأن الشر مصدره مؤسسات المجتمع؛ ومنها المدرسة والتي وصفها" هولت"بأنها شرٌ محض، وهو يتفق حول طبيعة الطفل الخيرة مع" جان جاك روسو" الذي يفترض الخير الفطري للأطفال، ولكن" هولت" يتمادى في إفتراضه و يتوقع أن صلاح الأطفال من جهة، وفضولهم الفطري من ناحية أخرى تكفي ليتخذ قرارات صائبة في حياته، وهذا التوقع خاطىء تمامًا (Cochran,1999)؛ حيث أن اتخاذ القرارات يتطلب المزيد من المعرفة والتوجيه من قِبل الكبار.

وينتقد "هولت" نظرة الكبار المتدنية إلى الأطفال في كتابه (الهروب من الطفولة)؛ حيث ينظر الكبار إلى الأطفال كونهم عبيد أو كحيوانات أليفة أو كمصدر للإزعاج، الأمر الذي يضر بمعظم الأطفال والصغار ولا ينفعهم (Holt, 1974).

وبناءً على ما سبق يمكن استخلاص ما يأتي:

- أن الأطفال يولدون مزودين بقدرات وإمكانات، ولديهم ميل فطري للتعلم.
- لا يكتسب الأطفال المعرفة بينما يصنعونها كما يصنعها العلماء والفلاسفة ، وفي سبيل صناعة المعرفة يمارسون نفس العمليات التي يقوم بها العلماء والفلاسفة الكبار لكن بشكل مبسط، وغير واعي في معظم الأوقات.
- يتعلم الأطفال بشكل أفضل من الكبار؛ لأنهم يستخدمون عقولهم بشكل أفضل.
- قد يكون الدافع للتعلم عند الصغار هو معرفة نتيجة أفعالهم؛ لذا يجب التركيز في تعليم الأطفال على ممارسة النشاط .
- يُمثل كل من الأمان والثقة محفزات لتعلم الأطفال، وفي المقابل فإن الخوف والقلق مثبطات لعملية تعلمهم.

ب- المعلم وأدواره

يُعد المعلم أحد أهم عناصر العملية التعليمية ، وهذا الأمر لم يتغير ولن يتغير ؛ فلا خِلاف على أهمية المعلم وعظم دوره في إحداث التعلم ، لكن ما يتغير هو طبيعة الدور الذي يقوم به ، فعند هولت لم يعد المعلم مالك المعرفة؛ وممثلًا للسلطة الأبوية التي لا تقبل المراجعة ، ولم يعد مُنفذاً لتعليمات السلطات التعليمية العليا بل مستجيبًا لحاجات المتعلمين ومُيسرًا

لطريق المتعلم في سبيله لتعلم ما يريده، ومتعلمًا مع الأطفال،ومشاركًا لهم في أنشطتهم وتجاربهم؛ فلم تُمس مكانة المعلم ولكنه صار مُطالب بالتخلي عن أدوارة القديمة، وممارسة أدوار جديدة.

فحينما سئل "هولت" عن "متى ستكتب كتاباً عن كيفية فشل المعلمين؟" كان جوابه: "ولكن هذا هو ما يتحدث عنه هذا الكتاب" (Holt, 1982, P3)، أي أن كتاب "كيف يفشل الأطفال؟" وهو الكتاب الأول لـ" هولت" يتناول المعلمين اللذين يفشلون في مساعدة الاطفال على التعلم، لذا حرص "هولت" على تقديم نصائح للمعلمين حول الطرق المناسبة لمساعدة الأطفال على التعلم، وتوعيتهم بالطرق الخاطئة التي تتسبب في فشلهم.

ويرى "هولت" أن مشكلة المعلمين الحقيقية تكمن في "أن المعلمين لا يدركون طبيعة الأطفال الحقيقية" فالأطفال لهم طبيعتهم وأساليبهم الخاصة في التعلم ؛ لذا وجب على المعلمين أن يتحرروا من مهامهم التقليدية التي وصفها "هولت" بأنها :"مهام الرئيس، والضابط، والشرطي، والقاضي، وحينها سيتمكنون من معرفة ما يكفي عن طلابهم، ومن ثم يتمكنوا من تحديد أفضل السبل لإفادتهم"(Holt, 1982, P22)، فمهمة المعلم تختلف عن مهمتي الشرطي والضابط اللتان تركزان على الحماية وتحقيق الأمن، وكذا تختلف عن مهمة القاضي التي تتمثل في إصدار الأحكام، أما المعلم فمهمته الأساسية هي: مساعدة الطفل على استكشاف العالم من حوله دون فرض الحماية أو إصدار الأحكام .

ويرى "هولت" أن واجبات ومهام المعلم تتمثل في "إعداد مكان (مساحة مادية وفكرية وعاطفية)؛ حيث يكون لدى الطلاب فرصة جيدة لعيش حياة مثيرة للإهتمام إلى حد ما، ثم تأتي المهمة الرئيسية للمعلم وهى: مراقبة ما يفعله الطلاب في تلك المساحة". (Holt, 1982, P21)، وهو ما أكد عليه "هولت" في إشارته لكيفية تقديم المعلمين للمساعدة المطلوبة للمتعلمين والتي كان أحد أشكالها(أشكال المساعدة) هي" ترتيب المواد المعروضة عليهم بما يزيد من فرص استكشافهم"(Holt,1989,p73) ؛ أي أن للمعلم مهمتين هما: الأولى: إعداد بيئة التعلم وتوفير موارد وأدوات التعلم، كما أن "هولت" يرى أن إعداد وتهيئة البيئة التعليمية للطفل لا تعني البيئة الفيزيقية أو المادية المتمثلة في تهيئة المكان وتزويدة بمصادر وأدوات التعلم اللازمة فحسب بل تعني أكثر من ذلك فهي تمتد لتشمل "البيئة الفكرية" التي تخاطب عقل المتعلم وتحفزة، و"البيئة العاطفية" والتي تعني توفير بيئة أمنة ،تُشجع المتعلم على التفاعل والتجريب دون خوف، والبعد عن إشاعة مناخ الخوف والتوتر الذي من شأنه أن يُعطل عملية

التعلم، بل قد يدمر ما تعلموه مُسبقاً، والثانية: وهى المهمة الرئيسة للمعلم وهى: مراقبة المتعلم، وهذه المهمة (مراقبة المتعلم) ضرورية حتى يفهم المعلم طبيعة المتعلمين، ويعي كيف يتفاعلون، ويستنتج كيف يتعلمون؟.

ويكشف "هولت" مفتاح تعليم الأطفال المتمثل في جملة من كلمتين هي: "ثقوا بالأطفال" "Trust the children"(Holt, 1967, P2)؛ حيث يطلب "هولت" من الكبار أو المعلمين أو يثقوا بقدرات الأطفال، فالثقة هى السبيل لتعلمهم بشكل حقيقي، ويرى "هولت" أن" القلق بشأن التعليم هو ما يُعطل تعلم الأطفال، فعندما يبدأون في رؤية العالم كمكان خطير ينعزلوا حماية لأنفسهم، وعندما يعيشون بحرية أقل وبشكل أقل أكتمالًا، فهذا هو الوقت الذي يموت فيه تعليمهم"(Holt,1989,p100) أي أن تعلم الأطفال يحتاج لأن يعيش الطفل بحرية ويتفاعل مع البيئة بأمان وبدون خوف من الفشل، فهذه المشاعر تؤدي لتعطيل تعلمهم أو لموت عملية التعلم بالكامل.

كما أن لقلق الصغار تأثيرًا سلبيًا على عملية التعلم ، فإن قلق البالغين له أثرًا سلبيًا أيضًا ، لذا يجب الحذر منه، ويحدد "هولت" مصدر القلق الرئيس لدى البالغين في زيادة أعداد الأطفال في الفصول حيث يرى "هولت" أن الذي يحدد مدى قلق البالغين ليست نسبة عدد الأطفال إلى عدد البالغين ، فمثلاً لا يتساوى مجموعة من ثلاثين طفلًا برفقة خمسة بالغين مع مجموعة من ستة أطفال برفقة بالغ واحد (رغم تساوي النسبة ٦-١)؛ حيث يشعر كل بالغ من البالغين بالقلق على كل طفل من الثلاثين طفلًا"(Holt,1982)، الأمر الذي يتطلب العمل على تقليل كثافة الفصول للحد من قلق المعلمين .

ويوجه "هولت" المعلمين إلى تأثير الحالة النفسية والمزاجية للمتعلمين على تعلمهم بقوله: "يعتمد مقدار ما يمكن للفرد تعلمه في أي لحظة على شعوره تجاه المهمة في تلك اللحظة، فعندما يشعر بالقوة والكفاءة، يندفع نحو المهام الصعبة، فالصعوبة لا تثبط العزيمة، فيفكر: "عاجلاً أو أجلاً: سأحصل على هذا"، وفي أحيان آخرى لا يسعه إلا أن يفكر: "لن أحصل على هذا أبداً، إنه صعب للغاية بالنسبة لي، لم أكن بارعاً في هذا النوع من الأمور، فلماذا على القيام به"،.. وهكذا، فجزء من فن التدريس هو القدرة على استشعار أي من هذه الحالات المزاجية يكون المتعلمون فيها(Holt,1967.p27)، أي أن الحالات المزاجية للطفل مؤثرة على قدرته على التعلم، لذا فمن الضروري أن يمتلك المعلمون القدرة على اكتشاف الحالات المزاجية للأطفال، وأن يستطيع التعامل مع كل حالة بما يناسبها، وأن يعلم أنه لا جدوى من حث

الأطفال على الإستمرار إذا كانوا يُعانون من حالات نفسية سيئة، فإن ذلك من شأنه أن "يخيفهم ويثبطهم"، ولكن على المعلم في مثل هذه الحالات أن "يتراجع ويخفف الضغط ويطمئنهم ويمنحهم مزيداً من الوقت ليستعيدوا طاقتهم ويعودوا للعمل"، وألا فإن الإصرار على أن يواصل المتعلمين مهامهم في هذه الأوقات هو محاولة أشبة بـ "خرق جدار حجري"؛ أي غير مُجدية.

كما أن للأطفال أساليبهم الخاصة في التعلم، ولكل منهم شخصية الفريدة، ولديهم أيضا جداولهم الزمنية الخاصة ، والسرعة التي يرغبون في إنجاز أعمالهم بها، لذا يوجه "هولت" إلى أن "التوجيه أو التدخل لتغيير أساليب التعلم، والجداول الزمنية غالبًا ما تبطىء أو توقف عملية التعلم" (Holt,1989,p96)، وعليه يجب أن يعي المعلم أنواع الشخصيات المختلفة للأطفال ، ويستنبط الجداول الزمنية لكل طفل على حده، ويُقدم المساعدة التي يحتاجها كل طفل حسب قدراته وجدوله الزمني وسرعته في التعلم، وفي الوقت والمكان الذي يناسبه، وهذه الأمور لم يُعد لها المعلم ولم يتدرب للقيام بها لذا وجب إعادة النظر في برامج إعداد المعلم وتدريبه.

اهتم "هولت" بتدريب المعلمين المبتدئين حيث يشير إلى أن: "المعلمون المتدربون يقضون فترات طويلة في الفصل الدراسي، لكنهم يعتقدون أنهم هناك ليتعلموا كيفية التدريس، أي لإلتقاط حيل إدارة الطفل من خلال مشاهدة الأطفال، وينصب اهتمامهم على التلاعب بالأطفال، والتحكم بهم بدلاً من فهمهم، لذا يراقبون المعلم، ولا يرون إلا مايراه، وبالتالي يخسرون معظم ما كان يمكن أن يكون تجربة قيمة (Holt, 1982, P21)، أي أن "هولت" يرى أن مهمة المعلمين المبتدئين فيما قد يسمى "التدريب الميداني" بالمدارس ليس مراقبة المعلمين والتعلم منهم استراتيجيات التدريس المختلفة فحسب بل الأهم من وجهة نظر "هولت" هو مراقبة الأطفال ومحاولة فهم طبيعتهم، وكيف يفكرون وكيف يتفاعلون وما هى ردود افعالهم.

وبناءً على ما سبق يمكن استخلاص ما يأتي:

- للمعلم دور كبير في إحداث التعلم الحقيقي للأطفال، لكن هذا الدور مُغاير عن دوره السابق الشائع والسائد عند الكثيرين، فلم يعد ناقلًا للمعرفة ضابطًا للصف الدراسي متحكمًا في عملية التعلم ومسيطرًا عليها.
- للمعلم وفق فكر " هولت" أدوار عديدة لعل من أبرزها؛ دوره في إعداد بيئة التعلم من الناحية الفيزيقية(المادية)، والفكرية والعاطفية بالشكل الذي يحفز على الاستكشاف والتعلم، ودوره في ملاحظة ومراقبة المتعلمين، ودوره كمتعاون ومشارك للمعلمين في أنشطة تعلمهم، ودوره كمتعلم من المتعلمين.

- ولأن الأدوار متعلمة، أي يتم تعلم مقتضيات الدور بداية بالوعي حول ما هية الأدوار المطلوب القيام بها؟، ثم التدريب علي ممارستها؛ لذا وجب الاهتمام بإعداد المعلمين في كليات التربية وفق أفكار " هولت" على أدوارهم الجديدة، وتدريب المعلمين الجدد عليها.

ج- المحتوى التعليمي و طرق تعليم الاطفال:

فيما يخص المحتوى التعليمي الذي يقترحه "هولت" فإنه لم يفرض محتوى تعليمي مُحدد ولكن يمكن استنتاج ملامح وخصائص هذا المحتوى التعليمي من خلال ما ذكره "هولت" في كتابه الثاني" كيف يتعلم الأطفال"حيث قال: "لا يحتاج الأطفال إلى **إجبارهم على التعلم**، أو **إخبارهم بما يتعلمونه**، أو تعليمهم كيفية تعلمه، فإذا أتيح لهم الوصول إلى **ما يكفي من العالم**، بما في ذلك **حياتنا وعملنا فيه**، فسيدركون بوضوح تام ما هى الأمور المهمة حقاً لنا وللآخرين، وسيشقون لأنفسهم طريقاً أفضل إلى هذا العالم أكثرمما يمكننا أن نشقه لهم" (p79).

ولقد وضع "هولت" أربعة مبادئ مهمة في تعليم الأطفال وردت بكتابه الأول " كيف يفشل الأطفال" وهى؛ "المبدأ الأول: لا يحتاج الأطفال إلى "التعليم" من أجل التعلم، سيتعلمون الكثير، وربما يتعلمون بشكل أفضل ما دون أن يتم تعليمهم، والمبدأ الثاني: يهتم الأطفال بشكل كبير ب**عالمنا البالغ وما نفعله هناك**، والمبدأ الثالث: يتعلم الأطفال بشكل أفضل عندما تكون الأشياء التي يتعلمونها **مُدمجة في سياق الحياة الواقعية**، وهو ما أسماه (دينيسون) في كتابه (حياة الأطفال) "إستمرارية الخبرة""Continuity of experience"، أما المبدأ الرابع والأخير فهو :يتعلم الأطفال بشكل أفضل عندما يكون **تعليمهم مرتبطاً بغرض مباشر قريب**" (Holt, 1982, P135).

ينتقد " هولت" المقررات الدراسية التي تُقدم للمتعلمين بالمدارس ويقول أنها:" تقدم لهؤلاء الأطفال العالم من خلال واجباتهم المدرسيه، عالمًا مجزأ بلا معنى ، أجزاؤه منفصلة عن بعضها البعض ، وكل منها معزول عن تجاربهم الحقيقية" (Holt,1982,p49)، الأمر الذي يُشير لضرورة تقديم المحتوى التعليمي ؛ بحيث يتصف بالوحدة؛ حيث أن تجزئة المحتوى التعليمي يُضيع وحدة المعرفة، ويجعلها بلا معنى.

أما عن طرق تعلم الأطفال فيرى "هولت" أن الأطفال الصغار يميلون إلى التعلم بشكل أفضل من البالغين، لأنهم يستخدمون عقولهم بطريقة خاصة، (Holt, 1967)؛ أي ان الميل

للتعلم كونه مسألة فطرية يوجد بدرجة أكبر عند الصغار، كما أنهم يتعلمون بطرق خاصة كشفها " هولت" في كتابه "كيف يتعلم الأطفال"، وعليه وجب توعية المعلمين بهذه الطرق، و العمل على تطبيقها من أجل المساعدة في تعليم الأطفال.

ويضيف "هولت" حول طرق وأساليب تعلم الأطفال قائلاً: "ما يحتاج المعلمون والمتعلمون إلى معرفته هو ما نعرفه منذ فترة: أولاً: أن التجارب الحيوية والممتعة هى الأسهل تذكراً، وثانياً: أن الذاكرة تعمل بشكل أفضل عندما تكون غير مُجبرة، كما أن المجالات الكهربائية تتكون في الدماغ عندما ندرك ونفكر ونشعر، وهذا يُفسر بالتأكيد سوء تفكيرنا، بل وسوء إدراكنا، أو عدم إدراكنا على الإطلاق عندما نشعر بالقلق والخوف"(Holt, 1967, P3)، وهذا يعني أن على المعلمين أن يفهموا جيداً طبيعة المتعلمين الصغار، والطرق التي تساعد على تعلمهم، وكذا العوامل والظروف التي من شأنها تثبيط أو تعطيل تعلمهم، فممارسة الأنشطة العملية من شأنها أن تسهل التعلم الحقيقي، على أن تكون هذه الأنشطة العملية ممتعة وجذابة للطفل من ناحية، وأن يكون ممارستها طواعية دون إجبار أو إكراه أو ضغط من ناحية آخرى.

ولقد استخلص "هولت" الطرق التي يتعلم بها الطفل من خلال ملاحظاته للأطفال الصغار أمثال الطفلة "ليزا"، والطفل "داني" وغيرهما من الصغار الذي راقبهم "هولت" في مواقف حقيقية وكان أبرز نتائج ملاحظاته ما يلي:

- الطفل يتعلم من خلال مشاركته في أنشطة تفاعلية يقوم فيها بالمراقبة الكبار ثم تقليدهم في محاولة لفعل ما يفعله الكبار، فالأطفال يتعلمون من خلال ممارسة ثلاث أمور هى: التقليد، والمقارنة، والتصحيح على الترتيب، والاختلاف بين الاطفال الأكبر سناً والأطفال الصغار يكمن في أمرين هما؛ الأول: أن الصغار يمارسون الخطوات الثلاثة (التقليد والمقارنة والتصحيح) على المستوى المادي الملموس، بينما الأطفال الأكبر سناً يمارسون الخطوتين الأولى والثانية (التقليد والمقارنة) على المستوى العقلي ثم يطبقونه على المستوى العملي، والثاني: أن الصغار يرغبون في اتقان الأمور ويصرون على إنجازها" أما الأطفال الأكبر سناً فإنهم يرغبون فقط في إنجاز الأمور وتجاوزها فحسب؛ حيث أن الصغار لديهم ما أسماه "هولت" بـ"غريزة الصنع" "Instinct to make" (Holt,1967,p20) ، فالأطفال الصغار هدفهم دوماً منصب على ممارسة النشاط ذاته، بينما الأطفال الأكبر سناً بالمدرسة غايتهم هو تحقيق "رضا الآخرين"؛ حيث أنهم يعيشون في "بيئة تنافسية شديدة" يُكافحون جميعاً لنيل رضا المعلمة.

- "مدى انتباه الصغار ليس قصراً كما نعتقد" (Holt, 1967, P15)، وقد يُفسر ذلك بأن الصغار عندما يمارسون نشاط ممتع دون قلق أو ضغط يستمرون في فعله ما دام ممتع لهم، أي أن مدى انتباه الصغار يتوقف على نوع النشاط التي يمارس وطبيعته، وعليه يمكن استخدام الانشطة التعليمية الجذابة كطريقة لإحداث التعلم الحقيقي.
- "يكره الأطفال الصغار بشدة أن يمنحوا مساعدة أكبر مما يطلبون" (Holt, 1967,p15) ، بمعنى أن "هولت" يفضل ألا يقوم الكبار أو المعلمون بمساعدة الصغار إلا في حالة أن يطلبوا ذلك، وبالقدر الذي يحتاجونه، لأن تقديم المساعدة للصغار يشعرهم بعجزهم وعدم قدرتهم على إنجاز ما يريدونه بأنفسهم، وهذا ما أسماه "هولت" "مقاومة التعليم غير المطلوب"، ويعني به "رفض الأطفال لجهود الكبار المحبة لمساعدتهم وتعليمهم"، ويرى "هولت" أنهم يقاومون لأسباب وجيهة وهى: أن الطفل يقرأ في هذه المحاولات الطيبة لتعليمهم ومساعدتهم "رسائل لا شعورية" مفادها أنه "ليس ذكياً بما يكفي ليدرك أهمية التعلم" أو انه "ليس ذكياً بما يكفي ليتعلم" (Holt,1967,p36) ، مما يشعرهم بالآلم، والغضب، ويدمر ثقتهم بأنفسهم؛ لذا يرى "هولت" أنه لا يجب تقديم المساعدة للاطفال إلا إذا احتاجوا لها، وطلبوها، أما أن يتم تقديمها (المساعدة)، دون طلب فإنها بذلك تحمل بين طياتها رسائل الشك وعدم الثقة في الطفل، وهنا قد يبرز سؤال مُحير للبالغين وهو: كيف يمكن التمييز بين الاستجابة، والتدخل غير المرغوب فيه؟، ويجيب "هولت" بأن إجابة هذا السؤال عند الأطفال ذواتهم وقد يعبرون عن قصدهم بالإشارة وليس الكلام ؛ فعندما يرسل الأطفال إشارات تدل على" دعني وشأني ، دعني أفعل ذلك بنفسي"، حينها يجب على البالغين أن يقولوا" بالتأكيد" ، ويتركونهم يواصلون عملهم بلا تدخل من قِبلهم.(Holt,1989)
- "يستطيع الأطفال الصغار ممارسة "نوع من التفكير المجرد" الذي يخبرنا كثير من الناس ومنهم " بياجية" بأن الأطفال لا يستطيعون القيام به حتى يبلغوا التاسعة أو العاشرة من العمر على الأقل" (Holt,1967,P16)، حيث استطاعت الطفلة "ليزا" الربط بين السبب والنتيجة، في قيامها بالنفخ في البالون لتحريكه بدلاً عن الريح الحقيقية التي كانت تحركه، كما أن الطفل يستطيع تجميع الأشياء في فئات وتسمية هذه الفئات.

- للأغاني أهمية كبيرة في تعليم الأطفال، حيث أنها مُعبرة عما يفعلونه أو يتمنونه، وأهميتها تكمن في ارتجالها، حيث يقوم الطفل بتأليف كلماتها وإيقاعها بنفسه، ويشير "هولت" إلى عظم تأثيرها على الطفل بقوله: "لتأليف أناشيدهم وإيقاعهم وألحانهم الخاصة تأثيراً إيجابياً على نموهم الموسيقي واللفظي" (Holt,1967,p16)، وذلك بعكس الأناشيد التي تُفرض عليهم من قِبل المدرسة، ويحفظونها بغرض إتقانها دون أدنى شئ من الابتكار.
- "الدافع الأكبر عند الطفل للتعلم هو: رغبته القوية في فهم العالم من حوله، والتحرك فيه بحرية، والقيام بالأشياء التي يرى الكبار يفعلونها" (Holt,1967,P16)، لذا وجب على المعلمين استثمار وجود هذا الدافع لدى الأطفال وإتاحة الفرص للطفل لاستكشاف العالم من حوله بحرية حتى يحدث التعلم الحقيقي.
- في طريق اكتشاف الطفل للعالم من حوله يحاول لمس واكتشاف الأشياء، وقد يمنع من ذلك من قبل الكبار بدعوى أن ذلك قد يؤذي الصغير، أو إنه قد يكسرها، أو أن هذا الشئ ملكية خاصة، لذا يرى "هولت" أنه "يجب أن نحاول إبعاد الأشياء الثمينة أو الخطرة التي لا نريد أن يلمسها الأطفال عن متناول أيديهم بل وعن أنظارهم" وفي المقابل "يجب أن نحتفظ في متناول أيدينا بالعديد من الأشياء الرخيصة والمتينة ليتمكن الطفل من لمسها واستخدامها" كما ينتقد "هولت" في هذا السياق الفكرة التي مفادها "أن أي شئ يلمسه الأطفال الصغار سيدمرونه" لأن ذلك من شأنه "أن يضعف فضولهم وثقتهم بأنفسهم"، ويقترح "هولت" بدلاً من ذلك "أن نحاول تعليمهم أن احترام الملكية الخاصة لا تعني عدم لمس ما ليس ملكك، بل يعني التعامل مع الأشياء بعناية، واستخدامها كما ينبغي، وإعادتها إلى مكانها الصحيح" ويرى "هولت" أن الطفل قادر على تعلم هذه الأشياء (Holt,1967,p18)، أي إن "هولت" ينادي دوماً بإزالة الحواجز التي تحول دون اكتشاف الطفل للعالم من حوله، والعمل على تهيئة البيئة التعليمية بما يتناسب مع طبيعة الطفل ، وبما يكفي لإشباع فضولهم.
- يُمثل اللعب من أكثر الاشياء المهمة للطفل ؛ لذا يمكن توظيفها في تعليم الأطفال؛ لكن اشترط "هولت" في الألعاب مواصفات مُعينة حتى تكون فعّالة؛ حيث يرى "هولت" أن الألعاب المخططة مسبقاً ليست ألعاب جيدة للطفل، بينما أفضل الألعاب للأطفال الصغار هي التي تنبع بسهولة وتلقائية من الظروف الحالية ، وهى العاب تحقق متعة

للطفل، لذا يميل لتكرارها، مثل لعبتي "التقاط الوسادة"، و "أضرب السرير" التي مارسها "هولت" مع الطفل "داني"، ويفضل "هولت" أن يقدم للأطفال ألعاب كهدايا تُمثل أشياء حقيقية مثل مضرب بيض، قدر، مصباح يدوي، وغيرها، بدلاً من ألعاب الأطفال التقليدية، والدمي والأشياء التي لا تُعبر عن الحياة الحقيقية. (Holt,1967)، ورغم أهمية اللعب للأطفال التي لا خلاف عليها كونه من أكثر الوسائل قرباً من الطبيعة، وأكثرها فاعلية لفهم العالم من حولهم، وفهم قدراتهم وإمكاناتهم فيه إلا أن "هولت" يرى أنه مهم أيضًا للكبار، فيرى أن اللعب له دور في صناعة المفكريين والمبدعين والمخترعين؛ حيث أنهم " لا يزالون باستطاعتهم أن يمارسوا اللعب عن طريق عقولهم؛ فهم لم ينسوا كيف يلعبون ؟ ولا يخجلون من اللعب ولا يخشونه بل هم يحبونه ويمارسونه كلما سنحت لهم فرصة لذلك ، فهو عندهم أمر طبيعي كالتنفس" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٤٥)

- أما عن تعليم الطفل الكلام فيرى "هولت"أنه لا يمكن تعليم الطفل الكلام عن طريق تعليمه مهارات الكلام، وتقسيم الحروف إلى أصوات، وبعدها دمج الحروف والأصوات لتكوين الكلمات والمقاطع، فالطفل "يتعلم الكلام بالكلام"، وذلك عن طريق التحدث إليه بشرط أن يكون ذلك "بشكل طبيعي وعفوي" أي "حديث صادق" وليس "حديث مصطنع" (Holt,1967,p50)؛ فواحدة من طرق تعليم الطفل الكلام هو "إجراء حوار مع الطفل"، شريطة أن يكون حواراً بين متساويين، والمقصود بذلك هو أن يتفاعل الكبار والصغار كزميلين، ويتشاركا في الحوار على قدم المساواة، ويسعيا كلاهما للوصول إلى أكبر قدر من الحقيقة، وأن يعامل الكبير (البالغ) الطفل بإحترام فيأخذ أسئلته على محمل الجد.
- أما عن تعليم الطفل القراءة فقد استعرض "هولت" تجربة مدرسة" ني لي" وهي مدرسة صغيرة بالقرب من "كوبنهاجن" ، لم يكن بها برنامج قراءة رسمي ولا صفوف ولا مجموعات للقراءة ولا اختبارات، ولكن بها أطفال مثل الكبار يقرأون متي ، وماذا، ومع من، وبالقدر الذي يريدون؛ ففي أي وقت يرغب فيه الطفل بالقراءة يذهب للمعلم ويختار الكتاب الذي يريده، ويقرأبصوت عال على المعلم (Holt,1989)، أي أن تعليم الطفل القراءة يعتمد على ثلاثة أمور هي: الممارسة ، الدعم المعنوي والتشجيع، تقديم المساعدة وتصحيح الأخطاء بقدرٍ يسير .

- يرى "هولت" أن هناك طريقتين لتعليم الطفل القراءة أو لإدخاله إلى "عالم الكتب" الأولى هي: البدء بأسماء وأصوات الحروف الفردية، ثم بكلمات صغيرة، ثم بمجموعات صغيرة من هذه الكلمات لتكوين جمل، ثم قراءة كتب سهلة ، ثم كتب أخرى أصعب من سابقتها، حتى يكتسب الطفل مهارات القراءة الكافية لقراءة أي كتاب يريده، ويرى "هولت" أن رغم إمكانيتها إلا أنها "تتطلب التغلب على صف طويل من العقبات والمرور عبر سلسلة من الأبواب المغلقة، كلما فُتح باب أدى إلى باب أخر وهكذا" (Holt,1989,p27)، أما الطريقة الأخرى وهي ما حدث مع الطفلة "أنا"؛ حيث بدأت بالكتاب أولًا، وصارت "مواطنة " في عالم الكتب، ثم أدركت أن الكتب تحمل قصصًا، وأن القصص متضمنة في الكلمات المكتوبة، وعليه إن فهمت الكلمات، فهمت واستوعبت القصص بالتبعية، ويرى "هولت" أن هذه الطريقة هي الأفضل لتعليم القراءة، فالارتباط بالكتاب، والشعور بملكيته "هذا كتابي" والرغبة في معرفة محتواه تؤدي إلى الرغبة في التعرف على الحروف والكلمات والجمل للتوصل إلى المعنى(Holt,1989).
- يرشد "هولت" المعلمين إلى طرق تهيئة الأطفال للقراءة ومن أهمها؛ تعريض الأطفال للكثير من المطبوعات وليس الصور بالشكل الذي يُغمر أعينهم، ويتم ذلك عن طريق إدخال جميع أنواع المطبوعات مثل (الخرائط، أوراق التذاكر، الفواتير، الملصقات السياسي، وغيرها من الأشياء) التي تنتمي لعالم الكبار إلى البيئة البصرية للأطفال، الأمر الذي يؤدي إلى أنه بعد فترة من النظر إلى هذه المطبوعات ستبدأ هذه الأشكال والإنحناءات، والتعرجات (للحروف والكلمات) عديمة المعنى بالنسبة للطفل في الاستقراروالتشكل بحيث تصبح مألوفة للطفل ويمكنه التعرف عليها.(Holt,1989)
- أما عن تعليم الطفل للأرقام والحساب، فيرى "هولت" ضرورة أن يعرف الأطفال الحقائق المتعلقة بأموال عائلتهم" (Holt,1989,p60)، وذلك لعدة أسباب منها؛ أن المال من أكثر الأمور غموضًا وجاذبية في عالم الكبار الذي يعيشون فيه، كما أن مالية الأسرة تمثل نسخة مبسطة قد تُعين الطفل على فهم اقتصاد المدينة أو الولاية أو الدولة"، فكلما ازداد فهم الطفل لاقتصاد عائلته ازدادت احتمالية فهمه لاقتصاديات مناطق أكبر، كما أن الاقتصاد الأسري يُعد وسيلة للحديث عن الأرقام والحسابات في سياق واقعي بدلًا من استخدامها بشكلٍ مجرد.(Holt,1989)، أي أن الكلام عن

الجانب الاقتصادي للأسرة وماليتها يُميط اللثام عن أمور غامضة بالنسبة للطفل، وبالتالي فهي أمور لها جاذبيتها، كما أنه يُمكن توظيفها لتعليم الطفل الأرقام والعمليات الحسابية بشكلٍ واقعي وقريب من حياتهم، وبشكلٍ حقيقي غير مصطنع.

- أما عن تصحيح أخطاء الكلام عند الأطفال فيرى "هولت" أن "التصحيح" في الواقع ليس ضرورياً، معللاً ذلك بأن "الأطفال يصححون أخطاءهم بأنفسهم"، فيعتقد "هولت" بخطأ نظرية "تعلم العادات السيئة" والتي تعني "إنه في كل مرة يرتكب فيها الطفل خطأ، سواء في الكلام أو القراءة أو أي شئ آخر، يجب علينا تصحيحة خشية أن يتحول إلى عادة سيئة يستحيل تصحيحها" فهذه النظرية غير صحيحة، لأن معظم ما تعلمه البالغون في طفولتهم من مشي، وكلام، وقراءة، وكتابه، تعلموها عن طريق "محاولتهم القيام بها، وارتكاب الأخطاء، ومن ثم تصحيح هذه الأخطاء"، والعمل على تصحيحها مسألة تتطلب وقتاً، كما تتطلب كذلك البعد عن مصادر القلق والضغط، ولكن في المدرسة التقليدية نادراً ما يترك وقتاً لذلك فحينما يخطئ الطفل يتلقى فوراً من البيئة المحيطة إشارة بأنه أخطأ متمثلاً في تعليق من الأقران أو تصحيح المعلمة للخطأ بنفسها فور وقوعه، وقد يتمثل رد الفعل في "ابتسامه حلوة وحزينة" من المعلم، وهى من وجهة نظر "هولت" من أقسى العقوبات التي تقدمها المدرسة، لأنها تظهر له أنه أذى الشخص وخيب أمله" (Holt, 1967, P74)، لذا يؤكد "هولت" على أنه "من الأفضل دائمًا، وبلا استثناء للطفل أن يكتشف شيئًا ما بنفسه بدلًا من أن يُملى عليه بشرط ألا تكون حياته مُعرضة للخطر أثناء التعلم كما في حالة عبوره للشارع، أما في الأمور الفكرية ، فلا أقبل الاستثناء لهذه القاعدة، أولًا: ما يكتشفه الطفل يتذكره بشكل أفضل، ثانيًا: الأهم من ذلك بكثير في كل مرة يكتشف فيها شيئًا ما يكتسب الثقة في قدرته على فهم الأمور" (Holt,1989.p99)، أي أن "هولت " يرى أن هناك عدة فوائد تعود على الطفل عندما يكتشف ويصحح أخطائه بنفسه فضلًا عن أنه يمكن تجنب عديد من الأضرار التي قد تصيب الطفل إذا أسرع الكبار وصححوا أخطاء الطفل .

- من الأمور التي تساعد على تعلم الطفل هو ما يسمى "نماذج الكفاءة" والتي تعني وجود أشخاص يتفوقون على الطفل في الآداء، ولكن "هولت" يحذر من "يجب أن نذكر أنفسنا بين الحين والآخر بأن "نموذج الكفاءة" قد يكون أحياناً أكثر كفاءة من

اللازم" (Holt,1967,P65)؛ حيث أن وجود نموذج كفاءة درجة كفاءته أعلى بكثير من الطفل قد يصيب الطفل بكثير من الأحباط والإهانة، لذا يشير "هولت" إلى أن الأطفال الصغار يتعلمون بشكل أفضل عندما يكون "نماذج الكفاءة" لهم أطفال آخرين أكبر سناً منهم؛ حيث أن مستوى كفاءته ليست بعيدة عن مستوى الصغير، فيشعر الصغير بأنه يمكنه بلوغ نفس مستوى الكفاءة بسهولة، وعليه يمكن الاستعانة في تعليم الصغار بأطفال آخرين أكبر سناً، لذا يقترح "هولت" إحياء مدارس الفصل الواحد مع دمج جميع الأعمار؛ حيث يتعلم الأطفال الأصغر سنًا من الأطفال الأكبر سنًا، كما أن وجود الأطفال الأكبر سنًا يرفع عن كاهل المعلمين مسؤولية رعاية الأطفال الصغار؛ حيث أن الأطفال الأكبر سنًا في نظر الصغار كبار(Holt,1989)، أي أن إحياء فكرة الفصل الواحد متعدد الأعمار من شأنة أن يقلل من قلق المعلمين الناشىء عن كثافة الفصول، كما أنه يُكسب الأطفال الأكبر سنًا قيمة الاعتماد على النفس، وتحمل المسؤولية، فضلًا عن توفير نماذج الكفاءة الأقرب للصغار.

- يحذر "هولت" من "إغداق الثناء على الأطفال"واعتبرها مسألة خطيرة؛ حيث أنها تجعل الأطفال يعتمدون كليًا على موافقة الكبارالمستمرة، ويخشون فقدان هذا الثناء والتشجيع، بل يشعرون بالرعب من ذلك"(Holt,1989,p100 ، كما أن كثرة الثناء تجعل الطفل في قيامة بعمليات وأنشطة التعلم محل تركيزه ليس على النشاط بل على كسب رضا المعلم ، كما أنه ينظر للثناء كونه دليل على نجاحه، وعدم الحصول عليه بمثابة إعلان لفشله، وهو أمر غير صحي في تعليم الطفل ولا يؤدي إلى تعلم حقيقي، كما أن "هولت" يحذر من استخدام المعلم لعبارات الثناء التي تحمل مفهوم وصورة الطفل عن نفسه مثل" أنت ذكي" "أنت عاقل" "أنت صالح" لتشجيع الطفل على أداء العمل المدرسي المطلوب، وذلك لأنه إذا فشل الطفل في أداء العمل المطلوب سيؤدي ذلك إلى أن يترسخ في وجدان الطفل أنه ليس ذكيًا، ولا عاقلًا ، مما يؤدي إلى تشويه صورة الطفل عن نفسه، وتدمير ثقته بنفسه(Holt,1982).

وبتحليل ما سبق يُمكن استنتاج ما يلي:

- لا يوجد محتوى تعليمي مُحدد يقترحه " هولت" لتحقيق التعلم الحقيقي للطفل.
- لا يجب إجبار المتعلم على محتوى تعليمي مُعين، فالطفل هو من يختار ما يريد تعلمه.

- يجب أن يكون المحتوى التعليمي مُشتق ومرتبط بالحياه الواقعية للطفل.
- يجب أن يكون المحتوى التعليمي وظيفي؛ بمعنى أنه له تطبيق في الحياه الواقعية المُعاشة للطفل.
- يجب أن يُلبي المحتوى التعليمي مطالب واحتياجات ويتناسب مع ميول واهتمامات الطفل.
- يُعد (تضمين حياة وعمل الكبار في المحتوى التعليمي) أمرًا جذابًا ومسألة مُشجعة للأطفال على التعلم.
- الدافع للتعلم عند الأطفال دافع داخلي فهو لا يحتاج لمحفزات خارجية ليتعلم.
- كلما كانت طرق ووسائل تعليم الطفل واقعية وطبيعية وتلقائية كلما كان زاد تأثيرها الإيجابي على تعلمه
- يُعد كل من اللعب والأغاني وممارسة الأنشطة الفنية من الأمور المهمة في تعليم الأطفال.
- ضرورة الحذر من تقديم المساعدة غير المطلوبة للطفل، كما يجب الحذر أيضاً من تصحيح أخطائه.

د-أساليب التقييم عند هولت

ينتقد "هولت" الإختبارات ويرى أنها "عملية احتيال عملاقة والغرض منها هو تمكين الطلاب والمعلمين والمدارس من (التظاهر) بأن الطلاب يعرفون كل ما يفترض أن يعرفوه، بينما في الواقع لا يعرفون سوى جزء صغير منه إن كانوا يعرفون أي شئ على الإطلاق وإلا لماذا نعلن دائماً موعد الامتحانات مقدماً إن لم يكن لإعطاء الطلاب فرصة للتحضير لها؟ لأنه بخلاف ذلك سيرسب عدد كبير من الطلاب" (Holt, 1982, P141)، فلو كان ما يرصده ويقيسه الاختبارات ما تعلمه الفرد واستوعبه وتمثله واستخدمه في حياته لما احتاج المتعلم إعلامه مقدماً بموعد الأمتحانات.

ويحذر "هولت" من كثره طرح الأسئلة على الصغار، حيث أن ذلك "يضع الطفل في موقف يشعر فيه بأنه إذا قال شيئاً خاطئاً، فقد أخطأ وهو على خطأ" وسرعان ما تظهر على الطفل تلك التعابير المتوترة والمخادعة التي نراها على وجوه الكثير من الأطفال في المدارس، أي يُمارس الطفل استراتيجيات الهروب" ؛ لذا يقول "هولت": "سينمو فهم الطفل أسرع إذا استطعنا

أن نثق به ونتركه وشأنه" (Holt 1967, P48)؛ وعليه فإن "هولت" يرى أن طرح الأسئلة على الطفل واختباره أمر يعني أن الكبار لا يثقون بالطفل، ويثبط عملية تعليمه.

ويستمر "هولت" في انتقاد المبالغة في طرح الأسئلة التي يتعرض لها الطفل ويشير "هولت" إلى أن طرح الأسئلة التي وصفها "هولت" بـ "الأسئلة الغبية" لا تجعل الطفل يشعر بالإهانة والغضب والإرتباك فحسب بل "تدمر بعض ما تعلموه بالفعل" فقد يعرفون الإجابة الصحيحة لكنهم إما أن يعطون إجابات خاطئة لإنزعاجهم الشديد من الأسئلة أو يلتزمون الصمت، كما تمتد خطورة "الأسئلة الغبية" لتنال من المعلم، حيث يستمر المعلم في إصدار أحكاماً خاطئة بُناءً على رد فعل الأطفال تجاه أسئلتهم، مما يجعلهم يصفون بعض هؤلاء الأطفال بأنهم يعانون من صعوبات التعلم.

وهنا قد يتساءل البعض كيف يمكن التحقق من مدى تعلم الطفل إذا لم يتعرض لاختبارات، أو يُطرح عليه أسئلة؟ والإجابة على هذا السؤال جاءت في سياق الحديث "هولت"عن قدرة الطفل على ممارسة شكل من أشكال التفكير المجرد، وإن المشكلة في التعبير عن ناتج هذا التفكير بالكلام؛ لذا استنتج "هولت" أن الطفل يُعبر بالأفعال عما تعلمه أكثر من الكلام (Holt,1989)؛ لذا يمكن للمعلمين التعرف على ما تعلمه الطفل من خلال إجراء تجربة أو ممارسة نشاط أو المشاركة في مشروع مُعين، ويمكن من خلال الحديث التلقائي دون ضغوط على الطفل .

هـ- المدرسة (التعليم المدرسي)

يرى "هولت" أن المدارس والمعلمين لا يكترثون باستراتيجيات الأطفال؛ حيث أنها تُقدم كل الدعم والتشجيع للمنتجين؛ الذين هدفهم هو الحصول على الإجابات الصحيحة بكل الوسائل، بينما تكون مُحبطة للغاية للمفكرين(Holt, 1982)، فجوهر المدرسة بالنسبة لمعظم الاطفال ليس التعلم، بل إنجاز المهام المدرسية أو على الأقل التخلص منها، بأقل وقت وجهد (Holt, 1982, P27)، فكل همهم هو كيفية التخلص منها سواء بأدائها أو باللجوء إلى الحيل والاستراتيجيات الدفاعية للتهرب منها؛ حيث يشير "هولت" إلى أن "قلة من الأطفال يتعلمون بالمدرسة لكن معظمهم يشعرون بالإهانة والخوف والإحباط فيستخدمون عقولهم لا للتعلم بل للهروب، مما يضطرهم إلى استخدام استراتيجيات هروب متنوعة تكلم عنها هولت في كتابه "كيف يفشل الأطفال" قد تمكنهم من اجتياز الأختبارات وإتمام الدراسة، لكنها لا تساعدهم على

"التعلم الحقيقي"، وهذا ما أسماه "هولت بـ"الفشل الحقيقي للمدرسة" " The real failure of the school" (Holt, 1967, P1).

ويرى " هولت" أن فشل المدرسة في تقديم تعليم حقيقي للأطفال "هولت" يرجع إلى "أن التعليم والتدريس عمليتان صناعيتان، تصممان و تخططان من أعلى بأدق التفاصيل، ثم تفرضان على المعلمين السلبيين وطلابهم الأكثر سلبية" (Holt, 1967, P2)، أي أنه ما يمارس في المدارس وفق "هولت" هى عمليات مصطنعة غير حقيقية تم تخطيطها من قِبل سلطات تعليمية عليا، ثم فرضت على أصحاب الميدان العملي والواقعي ألا وهما المعلمين والمتعلمين الصغار، وبالتالي المعلمين مجرد منفذين لما تم فرضه عليهم، والمتعلمين الصغار لا يعدو أن يكونوا سوى متلقين سلبيين، أما عن مسألة أن ترتكز عمليات التعليم على احتياجات، واهتمامات المتعلمين فهى مسألة غائبة تماماً بالمدارس التقليدية.

ويصف "هولت" المدرسة بأنها "أشبه بالسجن"، وأن المتعلمين بها هم "شعوب خاضعة"؛ فقوانين الحضور الإلزامي للمدارس تعني أن المجتمع يقول للصغار "إن لم يذهبوا إلى المدرسة فسوف ندفع بكم إلى السجن، في سجن حقيقي ذي قضبان"، ولما كانت وظيفة السجن ليست وظيفة إنسانية وتعمل ضد المهمة الإنسانية المفترضة للمدارس، ألا وهى مهمة المساعدة على التعلم والنمو؛ لذا وجب التخلص من هذا السجن، ويقدم "هولت" عدة مقترحات بشأن حل مشكلة الحضور الإلزامي للمدرسة والتي تجعل من المدرسة سجن للأطفال على حد قول "هولت" حيث قال: "في وسعنا أن نقلل عدد الأيام التي يشترط فيها الحضور في المدارس من كل سنة، وفي استطاعتنا أن نبقى المدارس على مدار السنة، وأن نترك التلاميذ يستوفون أيام حضورهم في المدرسة في أي وقت يشاءون: فإذا ما أراد تلميذ أن يحصل على معظم تعليمه المدرسي في الصيف، لأن لديه أموراً يريد القيام بها في الشتاء فلندعه يحقق رغبته تلك، والعكس بالعكس"(هولت،١٩٧٢، ١٩٧٨، ص ٣٤٤).

كما وصف "هولت" المدرسة بأنها: "مكاناً يتعلم فيه الأطفال الغباء"، حيث أن الاطفال قبل ذهابهم للمدرسة يتمتعون بالحرية والنشاط ويتعلمون بسرعة أما في المدرسة فهم مقيدو الحرية ويشعرون بالملل والخمول واللامبالاة وينطفئ لديهم الفضول والرغبة في التعلم (Holt, 1982)، ويرى "هولت" أن سبب ذلك يرجع إلى الأفكار التي تقوم عليها المدرسة وهى:"أن المعرفة البشرية تقوم على أجزاء وعناصر يمكن تسميتها بـ"الأساسيات" والتي يجب على الجميع معرفتها، ومدى اعتبار الفرد متعلماً ومؤهلاً للعيش بذكاء في عالم اليوم وأن يكون عضواً مفيداً

في المجتمع يعتمد على مقدار ما لديه من هذه المعرفة الأساسية، ومن واجب المدارس أن تكسب الأطفال أكبر قدر ممكن من هذه المعرفة الأساسية" (Holt, 1982, P175)، وهذه الأفكار والتي قامت عليها المدارس من وجهة نظر "هولت" هى أفكار عبثية، وضاره، لذا فهو يوجه بضرورة التخلص من هذه الأفكار حتى نتمكن من تقديم "تعليم حقيقي للأطفال"" Real education for children "، فيجب أن تكون المدارس مكاناً يتعلم فيه الأطفال ما يرغبون في معرفته، بدلاً مما نعتقد أنه يجب أن يعرفوه (Holt, 1982, P175)؛ حيث أن الطفل وحده هو القادر على تحديد ما يرغب في تعلمه وما يحتاج لفهمه واستيعابه، لذا يقترح "هولت" بديل للمدارس بشكلها ومهامها التقليدية وهو "وجود مدارس وفصول دراسية يشبع فيها كل طفل فضوله بطريقته الخاصة، وينمي قدراته ومواهبه ويتعرف من الكبار والاطفال الأكبر سناً من حوله على تنوع الحياة وثرائها، باختصار ينبغي أن تكون المدرسة مزيجاً رائعاً من الأنشطة الفكرية والفنية والإبداعية والرياضية، حيث يمكن لكل طفل أن يختار منها ما يشاء بقدر ما يشاء" (Holt, 1982, P179)، أي أن هولت يقترح أن تهتم المدارس بميول واهتمامات الأطفال وتتيح لهم فرص لممارسة الأنشطة التي تناسب ميولهم واهتماماتهم، ويرى أن الطفل سيتعلم من هذه الأنشطة تعلمًا حقيقيًا.

اعترض " هولت" على ما أسماه ب"الإستهلاك التنافسي للتعليم المدرسي" " Competitive consumption of School Education" والذي يعني أن" قدرتي على التقدم في العالم تتوقف على التقدم والتفوق عليك والذي بدوره يتوقف على قدرتي من قبل على استهلاك تعليم مدرسي أكثر منك، وإذا تساوى مقدار ما استهلكناه من ذلك فالتقدم عليك يتوقف على أن تعليمي المدرسي كان أكثر تكلفة من تعليمك المدرسي" (هولت ، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٧٥)، أي أن "هولت" يرفض أن يظل الفرد رهينة لمستواه التعليمي ومدى تفوقه على أقرانه طوال حياته، حيث أنها تُحدد طبيعة حياته المستقبلية، وتحدد مصيره في الحياه من عمل ، ودخل، وظيفة ، ومكانة اجتماعية وغيرها.

انتقد "هولت" المدرسة لارتفاع تكلفتها المادية وهو في ذلك يتفق مع "ايلتش" الذي رفض المدارس التقليدية لارتفاع تكلفة بنائها وتجهيزها، كما أن"هولت" يرى أنه "بتخصيصنا المزيد من مواردنا التعليمية للمدارس يقل باطراد ما يتبقى بأيدينا لتلك المعاهد أو المؤسسات المفتوحة بحق والتعليمية بحق والتي قد تُمكن المزيد من الناس باطراد أن يتعلموا بأنفسهم ومن أمثلها المكتبات العامة، وقارن في أي مجتمع محلي بين المكتبة العامة المحلية التي تخدم كل إنسان،

وبين المدرسة الثانوية العامة المحلية التي لا تخدم التلميذ إلا مدة أربع سنوات" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٨٣)، أي أن التكلفة المرتفعة للتعليم المدرسي قد تكون على حساب التوسع فيما اسماه "إليتش""تسهيلات التعليم" "Educational Facilities"، وبالتالي قد تحول دون حصول الكثيرين على فرصة للتعلم الحقيقي.

ويرى" هولت" أن "المدارس تضر ولا تفيد الفقراء" فالمدارس لا جدوى منها لمعظم الصغار الفقراء ؛ لأنهم لا يتعلمون إلا القليل فيها، أو لعلهم لا يتعلمون شيئاً، فما عدا أن يظنوا أنفسهم عاجزين عن التعلم والكثيرون منهم في كل سنة يقضونها هناك يزدادون فزعاً، ويأساً، وهزيمة، وبعضهم يخرجون من المدارس وهم يجهلون أشياء كانوا يعرفونها"(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٢٦٧)، أي أن المدارس من وجهة نظر "هولت" هي أداة للتمييز ضد الفقراء؛ فالتعليم المدرسي يتحيز ضد الفقراء بطرق مختلفة أبرزها أن المدارس باهظة التكاليف من خلال المصروفات المدرسية، وفي ضوء التنافس بين التلاميذ على مزيد من التعليم المدرسي، والتنافس بين المدارس ذات السمعة والمكانة فتزداد التكاليف التعليمية .

كما يرى "هولت" أن تعليم القراءة للفقراء داخل المجتمع بالمدارس ما هى إلا وسيلة لمسالمة الفقراء، وتجنب سخطهم، وضمان بقاء المجتمع كما هو دون تغيير، وهذا بالطبع في مصلحة الأقوياء والأغنياء داخل المجتمع، ويرى "فريري" أن التعليم للفقراء وعديمي السلطان أو القوة لا يكون فعالاً إلا إذا أتاح لهم فرصة لزيادة قوتهم على تغيير وتحسين أحوالهم، فالتعليم الحقيقي لا يهدئ الأمور بل يثيرها عن طريق إيقاظه للوعي، ويتفق "هولت" مع "فريري" حول هذا الأمر فيقول: "التعليم كوسيلة للتهدئة قد فشل دائماً في الماضي ويفشل الآن، وسيفشل حتماً في المستقبل" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص ٣٢٩)؛ أي أن "هولت" يرى أن التعليم هو وسيلة لتغيير المجتمع عن طريق تغيير وتحسين أحوال الناس للأفضل، وزيادة قدراتهم على إدارة حياتهم.

انتقد "هولت" دور المدرسة في عملية "انتقاء الدور الاجتماعي" social role selection" وتُسمى أيضًا "التدريج والتصنيف"، ويسميها "هولت" بوظيفة ختم اللحم Meat seal أي تحويل الناس الى سلع، وتحديد إلى أين يذهب كل واحد في مجتمعنا، وعلى أي شئ يحصل؟ ومن الذي يحصل على أفضل الوظائف أجراً؟ ومن الذي حصل على الوظائف متوسطة الأجر؟ ومن الذي يحصل على الوظائف المنخفضة الاجر؟ (هولت،١٩٧٢، ١٩٧٨)، و لكل مجتمع آلياته أو إجراءاته لتحديد هذه المسائل ولا يعترض "هولت" على هذا

ولكن اعتراضه على أن تتمثل هذه الآليات في المدارس؛ فلا يجب أن تكون سجلات الناس المدرسية تلاحقهم طوال حياتهم وتحدد مصائرهم، أي أن هولت يتخذ موقفاً ضد أوراق الاعتماد الدراسية الرسمية أو ما يمكن تسميته "الشهادات والدبلومات، أي أن "هولت" يطالب بإلغاء نظام الشهادات والدبلومات التي تحدد مصائر الناس.

كما اعترض "هولت" على التجزئة التي تصنعها المدارس في حياة الناس؛ "فالمدارس بطبيعتها تقسم حياة الطفل الى جزئين ولا تتعامل معها بشكل كلي موحد فالطفل في سنواته الاولى، قبل ذهابه إلى المدرسة يعيش حياته كما يجب أن يعيشها، كلاً واحداً غير متجزئة، فعمله ولعبه وتعلمه غير منفصل بعضه عن بعض، وما هو أهم من ذلك أنها ليست منفصلة عنه، فهو هو عمله، وهو هو لعبه، وهو هو ما يعرفه وما يصنعه وما يتعلمه، ولكنه في المدرسة (وأحياناً قبل المدرسة، إن كان له والدان يسرفان في دفعه – يمكن أن تبدأ العملية في وقت مبكر جداً) يتعلم أن يحسب عمله ولعبه وتعلمه منفصلة بعضها عن بعض، وجميعها منفصلة عنه، وأن هذه كلها، بما في ذلك ذاته نفسها – إنما هى سلع تُقاس وتُقوم وتباع وتشترى" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٣٥٦)، حيث أن المدارس التقليدية تقدم المعرفة للمتعلمين مجزأة على فصول دراسية وسنوات دراسية مما يضر بوحدة المعرفة ويفقدها معناها، كما أنها تقسم حياة الأطفال لفترة لعب في الفترة ما قبل المدرسة، وفترة تعليم بعد التحاقه بالمدرسة، الفترتين منفصلتين عن بعضهما ومنفصلتين عن حياة المتعلم، فالمدارس التقليدية تتعامل مع المتعلم كسلعة فتتحكم فيه كما يتم السيطرة والتحكم في السلع فتباع وتشترى.

ويرى "هولت" أن هناك ثلاثة شروط لابد من توافرها بالمدرسة حتى تحقق النمو المرجو للأطفال والتعلم الحقيقي وهي: "الحرية والمساندة والاحترام"، وأية إصلاحات تربوية لا تبدأ بهذه الشروط تكون غير مُجدية (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨)، وهذه الشروط الثلاثة لم تكن متوفرة محاولات تطوير التعليم التي كانت في أواخر الستينيات من القرن الماضي والتي تم تسميتها بـ "الثورة التعليمية" فهى لم تهتم بتحويل المدارس، والفصول التقليدية إلى مدارس، وفصول مفتوحة أو حرة، بينما كان بؤرة اهتمامها دائمًا مسائل جزئية بالعملية التعليمية على سبيل المثال "تعديل السلوك والأهداف السلوكية"، الأمر الذي أدى إلى تجزئة عملية التعليم بشكل "أكثر تجزئة" مما كان عليه في السابق (Holt, 1967)، ولذلك جاءت كلمة "ما وراءها" التي وردت في كتاب "الحرية وما وراءها" لتعني ضرورة "تجاوز مسألة إصلاح التعليم إلى النظر لجدوى وضرورة المدارس والتعليم المدرسي والتساؤلات المتعلقة بها والتي منها: هل في وسع المدارس القيام بكل

ما يطلب منها؟ هل هى أفضل الوسائل للقيام بها؟ وما الوسائل الآخرى؟"(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٦)، الأمر الذي تطلب إعادة النظر حول التمدرس وجدواه لإحداث التعلم .

لذا فحينما سئل "هولت" عن كيفية التربية؟ وما العلاقة بين التربية والتمدرس؟ كانت الإجابة هي : "إنه لا يتحتم عليكم أن تكون لديكم مدارس لكي تكون لديكم تربية"، ولكن بعد بضع سنوات وحضور عديد من الاجتماعات حول التربية، تغيرت الإجابة على نفس السؤال السابق وكانت: "لعل النظام المثالي ألا تكون هناك مدارس إطلاقاً" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٦٨)، أي أن أفكار "هولت" حول علاقة التربية بالتمدرس قد تطورت من أنه يمكن حدوث تعليم وتعلم خارج نطاق المدرسة إلى أن المدرسة ليست المكان المثالي لإحداث التعليم والتعلم، بل من الأفضل عدم وجود المدرسة على الإطلاق؛ حيث أن الناس يتعلمون في كل مكان.

ويعترض " هولت" على مفهوم "التمدرس" والذي يعني أن التعليم لا يحدث إلا في المدرسة ، وعليه وجب على الطفل الذهاب إلى المدرسة كي يتعلم شيئاً ما، ولكنك حتى إذا ذهبت إلى هناك لا تستطيع أن تتعلم ما تريد أن تتعلمه، تستطيع فقط أن تتعلم ما يريد الكبا ر أن تتعلمه، وبالترتيب والطريقة الذين يرون أن يعلموك إياه بهما، ومعظم ما يعلمونه موضوع ومحبوس بإحكام داخل ما يسميه إيفان أليتش "المنهج المدرج" وهو نوع من سُلم التعلم، وهذا السلم من الصعب الترقي فيه! فالقاعدة أن الدارس قد لا يقطع في هذا السلم خطوة ما لم يكن قد قطع خطوات كثيرة قبله (كلها في المدرسة) ومالم يكن مستعداً أن يتخذ (أيضاً في المدرسة) خطوات كثيرة بعد ذلك، أي أن التعليم يأتي في "عبوات" – على حد قول " هولت"– وكل عبوة منها ٤ سنوات، وأحياناً ١٢ سنة، وقد يُسمح لك بالاختيار بين العبوات، ولكن عليك دائماً أن تشتري عبوة كاملة، أو لن تحصل على شئ، وهو ما وصفه "هولت" بأنه أمر "ذو صلة بالتجارة أكثر منه بالتعلم" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٢٦٥).

ورغم إتفاق "هولت" مع "إليتش" و"ريمر" في أهمية وجود الموارد والأدوات التعليمية، إلا أنه لا يُطالب بمجتمعات بدون أية مدارس، بل أنه يُفضل أن يتم تعليم بعض الأشياء كاللغات والموسيقى والرقص في مدارس، فقد يكون تعلمها في مدرسة أفضل من تعلمها بأي طريقة آخرى، بل إنها قد تتطلب التعلم في مدرسة (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٢٦٥)، وهو ليس ضد المدارس على إطلاقها؛ حيث يقول "إذا كان بعض الناس يحبون المدارس ويتعلمون هناك جيداً فليذهبوا إلى المدارس أياً كان الثمن، وإذا كان بعض الناس يظنون أنهم لا يستطيعون تعلم أي شئ ما لم يدفعوا أجراً لمعلم كي يعلمهم إياه فليبحثوا عن معلميهم وليؤدوا إليهم أجورهم

مهما كلفهم ذلك، ولكن في "المجتمع اللامدرسي " لن يجبر أحد على الذهاب إلى مدرسة، لا بالقانون ولا بطريق التهديد بعدم التوظيف أو الفقر أو التمييز أو الإبعاد من المجتمع، ولن يعاقب أحد أو يضار أو تنقص مزاياه لأنه لا يحب المدارس، أو لأنه لا يجدها أماكن جيدة للتعلم، ولذا فهو لا يتعلم فيها، أو لأنه يريد ويحاول أن يتعلم بوسائل آخرى" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٢٦٦)، أي أنه ضد إجبار أي فرد بأن يتعلم في مكان مُعين، أو يتعلم أشياء مُعينة دون رغبته، فهولت يدعو إلى مجتمع يتمتع فيه كل شخص بأوسع خيار ممكن، وأوفره حرية؛ كي يتعلم ما يريد أن يتعلمه كائنًا ما كان، سواء في مدرسة أو بأي طريقة آخرى مختلفة.

ويدعو" هولت" إلى التعليم اللامدرسي(unschooling) وهو مصطلح صاغه "هولت"لأول مرة ، وقصد به منح الأطفال أكبرقدر ممكن من الحرية لاستكشاف العالم من حولهم بطرقهم الخاصة قدر المستطاع، ولقد أطلق على التعليم اللامدرسي مُسمى أخر وهو" التعليم المنزلي" وذلك للتأكيد على تعلم الأطفال ، وأن بقائهم خارج المدرسة لا يعني عدم تعلمهم، بل أنهم يتعلموا ولكن بطرق، وفي أماكن مختلفة، ولذا ميّز هولت بين (unschooling)، و(deschooling)، فالأولى تعني التعليم بطرق طبيعية وعفوية خارج أسوار المدرسة التقليدية، بينما يعني الثانية عدم التعليم إطلاقًا، وهي عند " هولت" مرحلة إنتقالية ينقطع فيها الطفل عن التعليم بهدف التحرر من السلوكيات المكتسبة من التعليم التقليدي قبل البدء بالتعليم المنزلي أو أي شكلٍ أخر من التعليم اللامدرسي. (www.johnholtgws.com)

ومما سبق عرضه يمكن استخلاص ما يلي:

- وصف "هولت" للمدرسة التقليدية بأنها "نوع من أنواع السجون": وذلك لما فيها من إجبار على الحضور في أوقات محددة ، ووجود حصص مُعينه، ومناهج دراسية مُقررة دون أدنى اهتمام برغبات المتعلم وبدون إعطائه أية فرصة للاختيار.
- وصف "هولت" المدرسة بأنها "مكان لصناعة الأغبياء"؛ وذلك لما تقدمة من محتوى دراسي قاصر وبعيد عن الحياه الواقعية للمتعلمين ولا يمد المتعلمين بالمهارات التي تُمكنهم من حل مشكلاتهم اليومية والتعامل مع المواقف الحياتية.
- ينتقد " هولت" المدرسة بسبب ارتفاع تكلفة بنائها وتجهيزاتها، ولأنها تُعد وسيلة للتمييز ضد الفقراء والأقليات، فضلًا عن كون المدارس تُمارس دورًا في تسليع الإنسان أي تحول الناس إلى سلع تُثمن، وتباع وتشترى.

- لا يدعو "هولت" إلى مجتمع بلا مدارس، ولكنه يرفض أن يُفرض على الطفل لكي يتعلم أن يذهب إلى مكان مُحدد قد لا يحب الذهاب إليه، فهو ضد الإجبار ، وضد احتكار المدرسة للتعليم.

2- المفاهيم التربوية الأساسية في فكر" هولت"

تناول "هولت" في كتاباته عديد من المفاهيم التربوية التي تعكس فلسفته التربوية، وتُعبر عن أفكارة التربوية التحررية، وتوضح إيديولوجيته الراديكالية(الجذرية)، وسيتم تناول هذه المفاهيم ودلالاتها في الصفحات الأتية.

أ- استراتيجيات الهروب

تُعد "استراتيجيات الهروب"بمثابة حيل دفاعية سلوكية يستخدمها المتعلمين لتجنب العقاب والإذلال؛ فعندما يُطلب من الأطفال القيام بأشياء ومهام مُعينة يسبب ذلك لهم القلق والخوف من الفشل في القيام بهذه المهام، مما يدفعهم لاستخدام أليات دفاعية مُعينه، ولقد تعددت استراتيجيات الهروب التي يستخدمها الطفل (المنتج) ليتهرب من الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها المعلم عليهم في المدرسة، ومن هذه الاستراتيجيات: الصمت (أي عدم قول شئ)، وعدم النظر للخلف (أي إعطاء إي إجابة وعدم مراجعتها أو النظر للتأكد منها)، وإدعاء معرفة الإجابة الصحيحة (والإسراع برفع الأيدي لإيهام المعلم بأنه يعرف الإجابة فلا يختاره للإجابة)، والتمتمة (وهى الخيار الأمثل للطالب غير المتأكد من الإجابة فيتمتم أي يجيب بصوت غير مسموع وغير مفهوم)، والتخمين والنظر (أي يدقق المتعلم في وجه المعلم ليستشف الإجابة الصحيحة من نظرة عينيه أو زوايا جسده)، والتخمين العشوائي (إلقاء أي إجابة بشكل عشوائي)، وأن تجعل المعلم يقوم بعمله (عمل المتعلم) نيابة عنه، والاستغراق في أحلام اليقظة (هى أحد استراتيجيات الهروب للتخلص من جو الفصل الممل)، والتخمين المقنع (أي تخمينات ولكن في صورة أسئلة فكل سؤال يطرح من قبل المتعلم يخفي تخميناً)(Holt, 1982, 11 – 24).

ويستخدم الأطفال هذه الاستراتيجيات بُناءً على مشاعرهم، وتوقعاتهم من العالم من حولهم، وطريقة تقييمهم لأنفسهم، وللفصل الدراسي، وللمتطلبات المفروضة عليهم (Holt, 1982)، أي ما يدفع الطفل لاستخدام استراتيجيات الهروب هو مشاعرهم السلبية والمتمثلة في القلق، والخوف الأمر الذي يدفعهم لاستخدام استراتيجيات مُعينة رغبةً في استرضاء الكبار، والتخلص

من ضغطهم، "فكلما كان توقع الفشل والخوف قوياً لدى الأطفال كلما أدى ذلك لأن يفكرون بطريقة خاصة، ويستخدمون استراتيجيات هروب مختلفة، عما يتبعها الأطفال الأكثر ثقة" (Holt, 1982, P24)، أي أن ثقة الطفل بنفسه، وشعوره بالأمان له دور كبير فيما يتبعه من استراتيجيات.

ويرى هولت "أن هناك نوعين من الطلاب داخل المدارس وذلك وفق الاستراتيجية المستخدمة من قبل الطالب داخل المدرسة، وهذا النوعان هما؛ الأول: الطالب المنتج (Producer) هو "الطالب الذي كان مهتماً بالحصول على الاجابات الصحيحة فحسب"، وهو الذي يسرع في الإجابة ويخطئ ويتعرض للإحباط واليأس"، أما الثاني: فهو الطالب المفكر (Thinker) وهو الطالب الذي حاول التفكير في معنى، وواقع ما كان يعمل عليه، لذا فهو عندما يخطئ لا ييأس ولا يصاب بالاحباط ويكون أكثر استعداداً للمواصلة والمحاولة" (Holt, 1982, P6).

ب- النجاح والفشل عند هولت

يبدأ "هولت" كتاب "كيف يفشل الاطفال" بجملة هى: "يفشل معظم الاطفال في المدرسة" (Holt,1982, P1)، ثم يميز "هولت" بين ثلاثة أنواع من الفشل وهى: الأول: وقد أطلق عليه اسم "الفشل المعلن أو المطلق"، ويعني عجز نسبة كبيرة من الأطفال عن استكمال دراستهم بالمدرسة والجامعة، والثاني: وهو فشل ولكن يمكن أن تُطلق عليه الباحثة مُسمى "فشل مغلف بالنجاح" وقد وصفه "هولت" بأن هناك من ينجح بالإسم فحسب في استكمال دراستهم لكن "إذا ما رفعنا معاييرنا إلى مستوى أعلى، فلن يتمكنوا من اجتياز اختبار الانتقال إلى الصف التالي"، أما الفشل الثالث والذي يرى "هولت" إنه الأكثر أهمية هو: أن جميع الأطفال تقريباً يفشلون في تطوير أكثر من جزء صغير من القدرة الهائلة على التعلم والفهم والإبداع التي ولدوا بها والتي استخدموها بشكل كامل خلال أول عامين أو ثلاثة أعوام من حياتهم"(Holt,1982,p1)، أي أن الفكرة الرئيسية التي يتمحور حولها كتاب هولت: "كيف يفشل الأطفال" هو: الفشل في تطوير القدرات في تحقيق تعلم حقيقي.

وكان من الطبيعي أن يكون السؤال الآتي هو: لماذا يفشل الأطفال في تطوير قدراتهم؟ وكانت إجابة "هولت" من ثلاثة كلمات هى: الخوف، والملل والارتباك أو الحيرة؛ حيث أنهم يخافون من خيبة الأمل أو إستياء "البالغين القلقين" وهو ما أسماه هولت بـ (anxious adults) والذين لديهم آمال وتوقعات لا محدودة، ويشعرون بالملل لأن الأشياء التي تطلب

منهم تافهة وبسيطة ومحدودة بحيث لا تتناسب مع ذكائهم وقدراتهم، ويكونون في حيرة ويشعرون بالارتباك لأن معظم ما يُلقى عليهم في المدرسة لا معنى له، ونادراً ما يكون له علاقة بما يعرفونه عن الحياة الواقعية (Holt, 1982).

ويؤكد "هولت" على أن "جميع الاطفال بحاجة إلى النجاح، ولكن هل نعني به الشئ نفسه؟ أعتقد ان النجاح لا ينبغي أن يأتي سريعاً أو سهلاً، ولا ينبغي أن يأتي دائماً (Holt, 1982, P39)، فيجب أن يتعلم الطفل أن "الفشل أمر مشرف، وبناء لا مهين"؛ فما يفشل فيه الطفل اليوم، قد يفعله في الغد، أي أن الفشل يُمهد ويعد خطوة في طريق النجاح في المستقبل، فعند الفشل يقوم المتعلم بمراجعة نشاطه ومهامه لاكتشاف الخطأ، وبالتالي العمل على تصحيحه للوصول إلى النجاح، وهذا ما أشار إليه "هولت" حيث يرى أن "الأطفال الذين يشرعون في فعل الأشياء مثل (الطفلة فيتا) ذات الخمس سنوات والتي بدأت في دراسة الكمان بجدية بالغة، لا يفكرون في النجاح أو الفشل بل في الجهد والمغامرة، ولكن عندما يصبح إرضاء الكبار أمراً بالغ الأهمية يظهر هنا الخط الفاصل بين النجاح والفشل" (Holt, 1982, P41)، أي أنه طالما كان تركيز الطفل منصباً على النشاط نفسه، وخوض التجربة، وروح المغامرة،فالنجاح مُلازم للممارسة النشاط وما ينتج عنه من متعة أي أنه في هذه الحالة ناجح دائما أو في طريقه للنجاح، بينما إذا كان الهدف هو (إرضاء الكبار)، فإنجاز العمل هنا هو مجرد وسيلة لكسب رضاهم، وهنا يكون النجاح مرادفاً لإرضاء الكبار، والفشل هو العجز عن استرضائهم.

لذا فقد تبين لـ"هولت" خطأ اعتقاده "بأن الاختلافات بين الأطفال الناجحين والأطفال الفاشلين تكمن في أسلوب التفكير؛ فهو أسلوب جيد عند الناجحين، وسيئ عند الفاشلين لكن الحقيقة التي توصل إليها "هولت" هى: (أن الفاشلين لم يقوموا بما قام به الناجحون، فهم يفعلون شيئاً مختلفاً، لقد رأوا المدرسة ومهمتهم فيها بشكل مختلف، كانت مكاناً محفوفاً بالمخاطر، ومهمتهم قدر استطاعتهم هى البقاء بعيداً عن الخطر، لم يكن عملهم التعلم بل الهروب) (Holt, 1982, P27)، فالنجاح عند الطلاب المفكرين يتمثل في المثابرة واستمرار المحاولة حتى إنجاز العمل أو المهمة؛ بينما النجاح عند الطلاب المنتجين يتمثل في كسب رضا الكبار والهروب من عقابهم ، لذا نجد أن أهم ما يُميز الطلاب المفكرين هو المثابرة، والمغامرة، وعدم اليأس، بينما يتصف الطلاب المنتجون بالأحباط واليأس السريعين.

ج- الذكاء عند هولت

الذكاء عند "هولت" لا يعني الحصول على درجات جيده في الاختبارات، أو تحقيق التفوق الدراسي بل يقصد "هولت" بالذكاء هو: "أسلوب للحياة، وطريقة للتصرف في المواقف المختلفة، وخاصة المواقف الجديدة، والغريبة، والمحيرة، أن المعيار الحقيقي للذكاء ليس مدى معرفتنا بكيفية التصرف بل كيف نتصرف عندما لا نعرف ما يجب فعله"(Holt, 1982, P164)، أي أن الذكاء هو حسن التصرف في المواقف المختلفة والجديدة، فمجرد معرفة الفرد بما يجب فعله لا يعني أن يتمتع بالذكاء المرتفع، بل أنه السلوك الواقعي الصحيح تجاه المواقف المختلفة هو المُعبر الحقيقي عن الذكاء.

ويرى "هولت" بعدم صحة مقولة: "أن بعض الناس يولدون أذكى من غيرهم"؛ حيث يرى أن بعض الناس أذكى بكثير في بعض الأحيان مما هم عليه في أوقات آخرى" (Holt, 1982, P7)، أي أن "هولت" لا يرى أن الذكاء مسألة فطرية موروثة بالكامل، بل أن البيئة المحيطة بالطفل، والوقت الذي يتعرض فيه الطفل للمواقف الجديدة تلعبان دوراً في تنمية الذكاء من جهة، و إظهاره والتعبير عنه من جهة أخرى.

كما يُشير "هولت" إلى أن هناك خلط بين (الجهل والغباء)، فحينما سأل طفل: "لماذا نذهب إلى المدرسة؟"، أجاب الطفل: "حتى لا نصبح أغبياء عندما نكبر"، فالأطفال قد يساوون بين الغباء والجهل، لذا على المعلمين أن يوضحوا الفرق بينها، "فمن الممكن معرفة القليل جداً من الحقائق مع استغلالها جيداً، وفي المقابل قد يعرف المرء الكثير من الحقائق ويتصرف بغباء" (Holt,1982, P48)، ففي الحالة الأولى معرفة قليلة مع حسن استثمارها، وتطبيقها يدل على الذكاء المرتفع، بينما معرفة الكثير مع سوء التصرف قد يدل على انخفاض مستوى الذكاء، لذلك هناك ما يمكن تسميته بـ (الأحمق المتعلم) (The Educated fool).

د- <u>الطفولة عند هولت:</u>

من المصطلحات التي استخدمها "هولت" هو مصطلح (مؤسسة الطفولة) " The institution of childhood" وذلك في مقابل استخدامه لمصطلح "حقيقة الطفولة" The fact of childhood الذي يُعده أكثر تعبيراً عن مرحلة الطفولة، ويعني "هولت"ب"مؤسسة الطفولة "كل تلك الإتجاهات والمشاعر، وكذلك العادات والقوانين التي تخلق فجوة أو حاجز كبير بين الصغار والكبار، مما يجعل من الصعب أو المستحيل على الصغار التواصل مع المجتمع الأكبر من حولهم، بل والأكثر من ذلك، لعب أي نوع من الأدوار النشطة والمسؤولة والمفيدة

فيه، والتي تحبس (الصغار) Young في ثمانية عشر عاماً أو أكثر من التبعية والاعتماد وتجعل منهم مزيجاً من الإزعاج المكلف، والكنز الهش، والعبد، والحيوان الأليف الخارق" (Holt, 1974, P4).

وينتقد" هولت" "مؤسسة الطفولة" ويرى أن الطفولة ليست مؤسسة، وإنما هي حقيقة من حقائق الحياة البشرية حيث قال: "الطفولة ليست مؤسسة بل حقيقة من حقائق الحياة البشرية، عند الولادة نعتمد في حياتنا على الآخرين ليعتنوا بنا، ويحافظون على دفئنا ونظافتنا ويحمونا من الأذى، في هذا نحن مثل الحيوانات الأخرى، ولكن على عكس معظم الحيوانات، يتجاوز عجزنا واعتمادنا بضعة أشهر ولكن يستغرق الأمر سنوات، هذه هى حقيقة الطفولة، حقيقة قديمة قدم البشرية ولكنها أيضاً حقيقة؛ فإننا مع تقدمنا في العمر نستمر في أن نصبح أكثر قدرة على رعاية أنفسنا"(Holt, 1974, P3).

وبناءً عليه فمؤسسة الطفولة عند "هولت" هى مسألة ثقافية مصطنعة تتمثل في جملة العادات والقوانين والإتجاهات المجتمعية، والتي تحدد مكانة ووضع الصغار داخل المجتمع، ووضعهم في إطار مُحدد بعيداً عن المسؤوليات والأدوار الفعالة داخل المجتمع، والنظر إليهم (إلى الصغار) كونهم تابعين، ومصدر للإزعاج، وعبيد ينفذون أوامر وتعليمات الكبار، وكائنات هى أقرب للحيوانات الأليفة منها للإنسان، كما إنه يعترض على حبس الصغار حتى ثمانية عشر عام في مرحلة الطفولة.

كما يرى "هولت" أن حياة الإنسان هو بمثابة منحنى يبدأ عند الولادة ويرتفع إلى قمم مختلفة وتمثل أقصى قدرة للإنسان في نواح عديدة، البدنية والعقلية و الإجتماعية ثم يحدث تراجع وهبوط تدريجي حتى الوصول للشيخوخة والموت، وهذا المنحنى الذي يمثل حياة الإنسان يقول "هولت" بأنه: "منحنى واحد ككلية، وهو منحنى نمو وتغيير مستمر لا توجد فواصل أو فجوات فيه" (Holt, 1974, P4)، وهذا المنحنى يُمثل حقيقة الطفولة، لكن "مؤسسة الطفولة" "The Institution of Childhood" لا تنظر لهذا المنحنى كوحدة واحدة بل تقسمه وتجزأه إلى قسمين؛ الأول: الطفولة، والثاني: البلوغ أو النضج، والأشخاص على جانبي هذا الانقسام (الأطفال والكبار) مختلفون جداً وذلك وفق أنصار"مؤسسة الطفولة"، ويعترض "هولت" على هذا التقسيم ويرى أن الفروق بين الأفراد لا تتعلق بالعمر أو الإنتماء لأي من العالمين (عالم الكبار، وعالم الصغار) بينما الفروق بين الأفراد تكمن في قدراتهم على اتخاذ القرارات و الخيارات المهمة في حياتهم (Holt, 1974).

في حين يرى أنصار "مؤسسة الطفولة" والمدافعين عنها أنها نوع من "الحدائق المسورة" التي يتم فيها حماية الأطفال، كونهم ضعفاء وصغار من قسوة العالم الخارجي حتى يكبروا ويصبحوا أقوياء و أذكياء بما يكفي للتعامل مع تحديات وصعوبات العالم الخارجي، لكن "هولت" يؤكد أن معظم الصغار لا ينظرون لتجربة الطفولة كحديقة بل كسجن مُقيد للحرية، لذا يستهدف "هولت" وضع بوابات لهذه الحديقة يتمكن الأطفال إذا من الخروج من هذه الحديقة المسورة (Holt, 1974)، أي أن "هولت" لا يعترض على وجود "الحديثة المسورة" ولكن يطالب بعدم إجبار الصغار للبقاء فيها متى أرادوا الخروج منها لمساحة أكبر.

ويعترض "هولت" على التعميمات التي تطلق على الطفولة بمعايير "مؤسسة الطفولة" حيث توصف الطفولة بأنها سعيدة، وآمنة، ومحمية، وبريئة، حيث يرى "هولت" أن الطفولة قد تكون كذلك لبعض الأطفال، ولكنها بالطبع على العكس بالنسبة لأطفال أخرين بل أن يؤكد على أن الطفولة (تجربة الطفولة) قد تكون (سعيدة وآمنة وبريئة) لبعض الوقت لكنها على حد قول "هولت" لها نهاية والتي غالباً ما تكون مؤلمة حيث يقول "هولت": "يبدو أن نهاية الطفولة غالباً ما تكون مؤلمة لأولئك الذين كانت طفولتهم أسعد ما يكون" (Holt, 1974, P6) والأطفال أنفسهم يريدون إنهاء تجربة الطفولة، وتبين ذلك لـ "هولت" حيث طرح ثلاثة أسئلة على تلاميذ ‘حدى المدارس الإعدادية وكانت هذه الأسئلة هى:

- إذا كان بإمكانكم التصويت قانونياً في الإنتخابات السياسية، فكم منكم يعتقد أنه سيصوت في بعض الأوقات على الأقل؟
- إذا كان بإمكانكم العمل قانونياً مقابل المال، كم منكم يعتقد أنه سيعمل في بعض الأوقات على الأقل؟
- إذا كان بإمكانكم العيش قانونياً بعيداً عن المنزل، كم منكم يعتقد أنه سيفعل ذلك في بعض الأوقات على الأقل؟

وكانت الإجابة بـ "نعم" على السؤالين الأول والثاني من قبل ثلثي التلاميذ، أما السؤال الثالث فكانت الإجابة بـ "نعم" بنسبة ١٠٠% من التلاميذ (Holt, 1974)، الأمر الذي يُشير إلى رغبة الصغار ذواتهم من إنهاء تجربة الطفولة وفق معايير "مؤسسة الطفولة"، ويريدون التمتع بممارسة بعض الحقوق التي تمنح الكبار، كما أن بعض الأطفال لا تكون "تجربة الطفولة" بالنسبة لهم سعيدة أو آمنة بينما هى على العكس، فهم "يتعرضون" للاستغلال والتنمر والإهانة وسوء المعاملة حتى من قِبل عائلاتهم بعدة طرق" (Holt, 1974, P5).

ويختلف "برادي" "Purdy" (١٩٩٤) مع "هولت" "Holt" حيث يرى"برادي" "Purdy" أن الأطفال والصغار فئة متميزة أو مجموعة سكانية خاصة، تستحق اهتماماً خاصاً متمثلاً في منحهم مزيد من الحماية؛ فهم أكثر عرضة للخطر بسبب صغر سنهم، وهو ما يمكن تسميته بـ"النهج الأبوي التقليدي""Traditional paternalistic approach"، لذا فهناك اختلافات مشروعة وذات اعتبارات أخلاقية بين الأطفال والبالغين، وعليه فحقوقهم داخل المجتمع مختلفة.

ويصف "هولت" "Holt" الطفولة، والعلاقة بين الأطفال والبالغين بقوله: "الطفولة الحديثة عبء عاطفي ومالي هائل، نحبس الكبار والصغار في علاقة متوترة ومعقدة للغاية، ثم نخبرهم أن عليهم أن يحبوها، وإن لم يفعلوا فهم سيئون، أو مخطئون أو مرضى" (Holt, 1974, P38)، أي أن الطفولة وفق معايير "مؤسسة الطفولة" هى عبء معنوي ومادي على الكبار، والعلاقة بين الكبار والصغار مفروضة، وقسرية على الطرفين (الكبار والصغار)، والتفاعلات بينهما خاضعة لضغط المجتمع ومعاييره.

وتحت عنوان: "استخدام واحد للطفولة" "One Use of Childhood" يرى "هولت" أن الاستخدام المهم والمفيد للبالغين للأطفال والطفولة يكمن في ممارساتهم للسلطة والإشراف وإصدار الأوامر وامتلاك عبيد سماهم "هولت" "بالعبيد المحليين" (own home – grown slaves) ، "وعلى الرغم من أن الأطفال ومؤسسة الطفولة تشكلان عبئاً وإزعاجاً، إلا أن لهما استخدامات مهمة؛ وأهمها أنها تمنح البالغين في الأسرة شيئاً يحتاجه معظمهم بشده ، وهو: وجود شخص يشرفون عليه، شخصاً "يساعدونه"، شخصاً "يحبونه"؛حيث أنه "لفترة طويلة جداً، منذ أن شكل البشر مجتمعات يتسلط فيها البعض على الآخرين، أدى الأطفال هذه الوظيفة المهمة للغاية حيث كان لكل والد بالغ، مهما كان متواضعاً أو ضعيفاً، شخص على الأقل يستطيع إصدار الأوامر له وتهديده ومعاقبته" (Holt, 1974, P26)، أي أن وجود الأطفال بمفهوم "مؤسسة الطفولة الحديثة " من شأنه أن يُشبع حاجة الكبار في التسلط وإصدار الأوامر والتحكم في حياه أفراد أخرين.

هـ-الاستعارات المُضللة

ورد بكتاب " هولت" الأخير المُعنون بـ"التعلم طوال الوقت" تحت عنوان "ثلاث استعارات مُضللة" تحذير "هولت" للمعلمين من الإنصياع لثلات استعارات تضللهم وتعوق عملهم، وقبل أن يُعدد هذه الاستعارات وضح المقصود بالاستعارات على أنها: " تلك الصور التي تتشكل في أذهاننا عن كيفية عمل العالم،أو كيف ينبغي أن يعمل وغالبًا ما تكون هذه الصور أكثر واقعية

بالنسبة لنا من الواقع نفسه"(Holt,1989,p106)، أي أن الاستعارات هي الصور الذهنية والمعتقدات الراسخة في النفوس والعقول حول العالم بشكلٍ عام والتعليم بصفة خاصة والتي تكونت عبر سنوات عديدة، ويصعب تغييرها، ويرى "هولت" أن هذه الاستعارات تحكم عملية التعليم المنظم التقليدي، وتوجه عمل المعلمين.

وعدّد هولت الاستعارات الثلاثة في الأتي:

- الاستعارة الأولى: وهي أن التعليم يُنظر إليه كونه "خط تجميع في مصنع تعبئة أو تعليب على طول سيور النقل، وتمر صفوف من الحاويات الفارغة بأشكال وأحجام متنوعة ، وبجانب السيور توجد مجموعة من أجهزة الصب والرش، يتحكم بها موظفو المصنع، وبينما تمر الحاويات يؤش هؤلاء العمال كميات متفاوتة من مواد مختلفة(قراءة، رياضيات، التاريخ، العلوم،.....) في الحاويات،وفي الطابق العلوي تقرر الإدارة متى يجب وضع الحاويات على الحزام، ومدة تركها، وأنواع المواد التي يجب سكبها أو رشها فيها، وفي أي أوقات"(Holt,1989,p107)
- الاستعارة الثانية: وهي استعارة "تصور الطلاب في المدرسة كفئران تجارب في قفص، إذا ضغط على (الشكل الصحيح)الذي يريده المُجرِب يخرج منه لقمة لذيذة، أما إذا ضغط الفأر على (الشكل الخاطئ) فيتعرض لصدمة كهربائية" (Holt,1989,p107)، وهذا هو الحال في المدارس التقليدية فبدلًا من مهمة(لقمة/صدمة) صار ما يُسمى بالترغيب والترهيب أو التعزيز الإيجابي ، والتعزيز السلبي.
- الاستعارة الثالثة: يرى"هولت" أنها الأكثر خطورة وتدميرًا وهي: "أن المدارس بمثابة مستشفيات للأمراض العقلية، أي أنها مؤسسات علاجية، فإذا ما حدث التعلم تستحق المدرسة الثناء والشكر، وإذا لم يحدث التعلم يقع اللوم على الطلاب إما لأنهم كسالى وغير منظمين، أو لانهم يُعانون من صعوبات التعلم".(Holt,1989,p108)

وعليه يمكن استنتاج ما يأتي:

- إن هذه الاستعارات الثلاثة السابقة تتحكم في آداء المعلمين والقائمين على المدارس، مما يعوق عملية التعلم الحقيقي للمتعلمين، ويحول دون تطبيق الأفكار التحررية التي نادى بها" هولت"، وبالتالي تمنع حدوث التغييرات المرجوه بالمدارس، لذا وكخطوه أولى

وجب الوعي وإدراك خطأ هذه الاستعارات في سبيل العمل لإزالتها على المستويين؛ النظري(الوعي والإدراك)، والعملي" الممارسات التي توجهها هذه الاستعارات.

- وفق الاستعارة الأولى فإن مؤسسات التعليم ومنها المدرسة هي بمثابة مصنع، والموظفين والعمال هم المعلمين، والمتعلمين (الأطفال) هم حاويات فارغة، والتعليم مجرد صب أشياء (المواد الدراسية) داخل هذه الحاويات، ومن يقرر الوقت، وكيفية الرش هم إدارة المصنع العليا التي تمثلها السلطات التعليمية العليا، وهذه الاستعارة خطيرة جدًا إذا ما سيطرت على عقول ونفوس المعلمين؛ لأنها تنظر للمتعلمين نظلرة دونية، فهي تسلبهم إنسانيتهم، فهي لا تنظر للطفل كونه إنسان له قدرات وميول وأهتمامات، كما أنها تقصر عمل المعلمين في تنفيذ إرادة وأوامر السلطات العليا دون أن يكون لهم(المعلمين) أي دور على مستوى التخطيط والتوجيه، بل أن وقت التنفيذ وكيفيته مفروض عليهم بصرامة، كما أن تشبيه المدرسة بالمصنع مسألة خاطئة تماماً، فالمصنع مؤسسة إنتاجية، لكن المدرسة بصورتها التقليدية لا تنتج تعليماً حقيقياً أو متعلمين حقيقيين.
- وفق الاستعارة الثانية فإن استخدام التعزيز بأنواعه لدفع وتحفيز الأطفال للتعلم مسألة أضرارها تفوق منافعها، فهي وإن دفعت المتعلم للقيام بمهمة تعليمية مُعينة فإنها تجعل أدائه لها لكسب رضا المعلم والحصول على التعزيزالإيجابي، وتجنب العقاب، وليس للتعلم والاستمتاع برحلة التعلم، ومن ثم لا يؤدي ذلك لحدوث التعلم الحقيقي.
- أما عن الاستعارة الثالثة فهي أكثر خطورة من الاستعارتين السابقتين؛ لأنها تجعل المدرسة وما يتم داخلها من ممارسات مُقاومة لأي تغيير: فالمدرسة وفق الاستعارة الثالثة لا تخطئ أبداً وأي نقص في تعلم الأطفال لا ينتج عن خطأ بالمدرسة أو أداء المعلم أو المنهج التعليمي بينما يعود لمشكلة تتعلق بالمتعلم ذاته، وهو ما يعطل أو قد يوقف أي محاولة لإصلاح المدارس وتطويرها.

و – حقوق الأطفال:

اهتم الكثيرون بمفهوم حقوق الأطفال "Childhood Rights" ومحاولة تحديد هذه الحقوق، وكانت في معظمها تحمل مدلولاً جيداً يتفق عليه "هولت" وهو أن يتمتع كل طفل بعدة حقوق أبرزها: "الحق في منزل جيد" و "الحق في تعليم جيد"، بينما يرى "هولت" أن هذه الحقوق السابقة غير كافية للطفل، وأن معنى "حقوق الطفل" يتجاوز ما قصده الأخرون فهو يقصد

"بحقوق الاطفال ما نعنيه عندما نتحدث عن حقوق (البالغين، أي أن يمنح القانون الصغارالحق، ويضمن لهم الحرية التي يمنحها الآن للبالغين في اتخاذ أنواع معينة من الخيارات، والقيام بأنواع معينة من الأشياء، وقبول أنواع معينة من المسؤوليات"، وبعبارة أخرى ينتقد "هولت" أن يعامل الصغار الذين لم يبلغوا سن الرشد ولم يتجاوزا سن ١٨ عاماً قانونياً كما لو كانوا أطفالاً" (Holt, 1974, P57)، أي يحرمون من حقوق يتمتع بها البالغون بدعوى أنهم غير قادرين على تحمل تبعاتها، أو بحجة حمايتهم من الأذى.

اقترح "هولت" أن للأطفال والصغار حقوقاً وواجبات ومسئوليات كالممنوحة للمواطنين البالغين ومن بين هذه الحقوق الأتي: (Holt, 1974)

- الحق في المعاملة المتساوية أمام القانون.
- الحق في التصويت والمشاركة الكاملة في الشئون السياسية.
- الحق في أن يكون مسؤولاً قانونياً عن حياته و تصرفاته.
- الحق في العمل مقابل المال.
- الحق في الخصوصية.
- الحق في الاستقلال المالي، أي الحق في امتلاك وشراء وبيع الممتلكات، واقتراض المال، وتوقيع العقود وغيرها من المعاملات المالية.
- الحق في توجيه وإدارة تعليمه الخاص.
- الحق في السفر، الحياة بعيداً عن منزل أسرته، واختيار أو إنشاء منزله الخاص.
- الحق في الحصول من الدولة على ما يحصل عليه المواطنين البالغين من دعم حكومي داخل مجتمعه.
- الحق في إقامة علاقات شبه عائلية خارج نطاق أسرته الأصلية، وهو ما يعني الحق في البحث واختيار أوصياء غير الوالدين الأصليين، وأن يكون معتمد عليهم قانونياً، وذلك على أساس الموافقة المتبادلة.
- الحق في أن يفعل بشكل عام ما يحق للبالغين فعله قانونياً.

وفيما يتعلق بما سرده "هولت" من حقوق للطفل فقد أكد "هولت" على أن ما سرده من حقوق غير مرتبة حسب أهميتها، حيث أن أهمية ممارسة هذه الحقوق تختلف من شاب لآخر، كما أشار إلى أن هذه الحقوق ليست حزمة واحدة مرتبطة ومفروضة بشكل كلي على الشباب والأطفال إما أن يمارسوها جميعها أو يتركوها ويتنازلون عنها إجمالاً، لكنه أكد على ضرورة أن

تكون هذه الحقوق متاحة للجميع، وللصغار والأطفال حرية اختيار ممارسة أي منها حسب قدرتهم وتحملهم، ولكنه لم يغفل أن طبيعة بعض الحقوق تجعلها مرتبطة بغيرها من الحقوق الأخرى التي يمكن النظر إليها كونها متطلب قبلي لازم وضروري لممارستها، وضرب مثلاً بممارسة الحق في الحصول على منزل خاص، فهو حق مرتبط بحقه في العمل والحصول على دخل خاص (Holt,1974)، "فبعض الحقوق لكي تكون فعالة، تعتمد إلى حد كبير على توافر الحقوق الأخرى، بينما تكون حقوق أخرى أكثر قدرة على الاستقلال"(Holt,1974,p58)، ومن أمثلة الحقوق التي تتمتع بقدر من الاستقلال عن غيرها من الحقوق مثل: حق الصغير في إدارة تعلمه (Holt, 1974, P59).

أحد أهم الحقوق التي اهتم بها "هولت" للصغار هي حقهم في العمل مقابل الأجر حيث قال: "أحد الحقوق التي أتمناها للأطفال هو الحق في العمل مقابل المال" (Holt, 1974, P58)؛ حيث أن هذا الحق إذا حصل عليه الطفل يستطيع الحصول على حقوق أخرى مرتبطة به مثل الحق في السفر، والحق في الحصول على منزل خاص وغيرها من الحقوق، ولكنه يتخوف من أن يكون إقرار هذا الحق مجرد "حبراً على ورق"؛ أي غير مُفعل، خاصةً في المجتمعات التي تُعاني من الفقر والبطالة والتمييز.

كما أكد "هولت" على أنه لإتاحة هذه الحقوق وجب بداية إحداث تغييرات في القوانين والأعراف السائدة داخل المجتمع، وأشار "هولت" إلى أن إقرار هذه الحقوق وإحداث تلك التغييرات المطلوبة ترتبط بشكل كبير بطبيعة وظروف المجتمع، وضرب مثالاً لتوضيح ذلك بحال الولايات المتحدة الأمريكية (USA) عام ١٩٧٣ حيث أكد على أنه من غير المرجح أن يُمنح للصغار الحق في العمل في مجتمع مثل الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٣، مع ارتفاع نسب البطالة والفقر؛ لذا وجب أن تتخذ الدولة قرارات سياسية، مثل السويد أو الدنمارك للتخلص من الفقر المدقع والحفاظ على مستوى عال من العمالة قبل أن يفكر الكبار في السماح للصغار بالمنافسة على الوظائف، وبنفس المنطق لا يوجد مجتمع من المرجح أن يمنح الشباب الحق في المعاملة المتساوية أمام القانون إذا كان يُنكر هذا الحق على النساء البالغات أو على الأقليات العرقية، (Holt, 1974)، أي أن "هولت" يضع في الاعتبار طبيعة المجتمع وظروفه الحالية، والتي قد تحول دون إحداث التغييرات المطلوبة ومنح الحقوق المشودة، إلا أنه في ذات الوقت يحث الحكومات لإتخاذ الإجراءات المطلوبة للتغلب على هذه المعوقات، وحل تلك المشكلات التي تحول دون إتاحة الحقوق للصغار والأطفال.

ولذا فقد اقترح "هولت" التدرج في إحداث هذه التغييرات (في القوانين والأعراف) وفي منح الحقوق التي سردها سابقاً وضرب مثلاً على ذلك بخفض سن التصويت من ٢١ عاماً لـ ١٨ عاماً ، واقترح تخفيضه تدريجيًا إلى ستة عشر أو خمسة عشر، ثم لاحقاً إلى أربعة عشر أو اثنى عشر وهكذا، حتى يتم التخلص من هذا الحاجز، وجميع الحواجز الأخرى التي تحرم الأطفال من إمكانية المشاركة الجادة والمستقلة والمسؤولة في الحياة من حولهم، (Holt, 1974)، أي أن "هولت" يشير إلى أن هذه التغييرات ستحدث على عدة خطوات، وتستغرق وقتًا قد يمتد لعدة سنوات، ولن تحدث بشكل فجائي وفوري.

والتدرج في إحداث التغييرات القانونية وفي منح الحقوق المطلوبة للأطفال أمر مهم جداً وضروري حيث أنه "ليس من السهل أبداً تغيير الأفكار والعادات القديمة" وأن "الناس يدافعون عما اعتادوا عليه حتى عندما يؤذيهم" (Holt, 1974)؛ وذلك لأن الناس يتمسكون بالأشياء التي يعرفونها، والتي تتناسب مع تكوينهم المعرفي، ولا ينفي "هولت" إن إحداث تلك التغييرات المجتمعية والقانونية من شأنها أن تتسبب في ظهور مشكلات، ولكنه يرى أن أقصى ما يمكن فعله هو محاولة التغيير، وعلاج ما نعرف أنه خطأ الآن، والعمل على حل المشكلات عند ظهورها (Holt, 1974).

واجهت آراء " هولت "نوعان من ردود الفعل من قبل معاصريه من المفكرين والمهتمين بتربية الطفل أحدهما داعمة ومؤيدة مثل ليفينLevine(١٩٧٤) والذي وجد آراء وأفكار "هولت" ممتعة ومعقولة ومُقنعة بشكلٍ كبير، وأرجعت دراسات أخرى الدراسات ومنها دراسة "بيرن" (Byrne, 2016)، ودراسة آرتشارد Archard(٢٠٠٤)، ودراسة فورتين Fortin(٢٠٠٥)، ودراسة فريمان Freeman(٢٠٠٧) الفضل لآراء "هولت" وغيره من دعاة التحرير في تطوير الخطاب الخاص بحقوق الطفل وفتح آفاق جديدة في مجال الحقوق، بينما على الجانب الآخر وجدها نوردبرجNordberg(١٩٧٤) أن عواقب تطبيق مطالبات "هولت" الحقوقية للطفل ستكون وخيمة؛ ووصف دعوة "هولت" بأنها دعوة لاأخلاقية وسوف تؤدي إلى نشأة جيل من الجهلة أقرب إلى الحيوانات المفترسة؛ حيث قال ساخرًا موجهًا كلامة لطفل "هولت" المتمتع بالحقوق التي طالب بها: "مرحبًا بك يا جونيور في العالم الجديد؛ حيث لديك دخل مضمون.. وممارسة الجنس مع أي شخص...وقد لا يثقل عليك المعلم بأي شيئ لا يلفت انتباهك، ستكبر وحشاً جاهلًا لا أخلاقيًا"((Nordberg,1974)، ويرى "بيرن" (2016) (Byrne) أن "هولت"

"Holt" قد نقل خطاب الحقوق إلى حد "متطرف"؛ حيث أشار إلى عدم وجود فروق بين الصغار والبالغين، وأنهما متساوون في الحقوق.

مما سبق يتضح الآتي:

- أن "هولت" يطالب بجملة من الحقوق التي يمكن أن يصفها بالبعض أنها طموحة، ويصفها آخرون بأنها غير واقعية ومتطرفة.، أرى أن بعض الحقوق التي طالب بها "هولت" يمكن وصفها بأنها معقولة ومرغوبة مثل الحق في العمل بمقابل أجر، والحق في إدرة وتوجيهه تعليمه، لكن ستتبع هنا أسئلة منطقية مثل: ما نوعية الأعمال التي تناسب الطفل جسميًا ونفسيًا ؟ وكيف يتم حماية الطفل من الاستغلال أو الإيذاء من قبل أصحاب الأعمال؟، في أي سن أو مرحلة عمرية يمكن الطفل أن يختار مسارا تعليميا يتناسب وقدراته وميوله؟ وكيف لا يتعارض حق الطفل في إختيار وتوجيه تعليمه مع حق الأباء في الأمر ذاته؟
- وهناك بعض الحقوق التي طالب بها "هولت" لا تتناسب وطبيعة الطفل مثل الحق في إبرام العقود ، وأخذ القروض، والشراء والبيع للمتلكات، وحقه في فعل ما يُسمح للكبار بفعله ، الأمر الذي قد يعني ممارسة الحياه الجنسية بحرية أو تغيير الجنس مثلاً وغيرها من الأمور التي تُعرض الطفل للاستغلال، والابتزاز، وبناءً عليه فهناك حقوق قد تكون مقبولة مع وضع حدود عمرية واجتماعية لممارستها، وعلى الطرف الأخر هناك حقوق قد تكون مرفوضة، لما قد ينتج من تمتع الطفل بها مشكلات كبرى على كافة الأصعدة .
- يضع "هولت" طبيعة المجتمع وظروفه في الاعتبار في إتاحة هذه الحقوق وإجراء التغييرات المجتمعية والقانونية اللازمة لإتاحتها، ويرى "هولت" أن هذه التغييرات لن تحدث بشكل فجائي بل ستتم بشكل متدرج في خطوات قد تمتد لسنوات في سبيل إتاحة هذه الحقوق للطفل، ففكر "هولت" بالأساس إصلاحي وليس ثوري.

ز – الحرية عند هولت:

ارتبط مفهوم الحرية وممارستها بمفاهيم عديده منها؛ الحدود ، والسلطة، ومشكلة الاختيار، وكذا الانضباط، وهي مفاهيم هامة ارتبطت بمفهوم الحرية، ويتوقف معناها ومدلولها على مفهوم ومعنى الحرية المقصود، لذا وجب التعرف بدايةً على معنى الحرية، وكذا علاقتها بغيرها من المفاهيم.

انتقد "هولت" استخدام لفظ "الحرية " بشكلٍ شائع بين الناس واعتبر ذلك مشكلة؛ لأن كثرة استخدام لفظ الحرية لا يعكس الوعي بمعناها الحقيقي: حيث قال: "بدا أن جانباً كبيراً من مشكلتنا يكمن في أن المؤمنين بالحرية حقا قليلون، فالحرية كشعار شيء بديع، ولكننا لا نفهمها كعملية أو حيلة (ميكانيزم) يستطيع الناس عن طريقها – أو فى إطارها – أن يعملوا وأن يعيشوا، ففي حياتنا لم يتيسر لنا إلا أقل الخبرة بالحرية، اللهم إلا فى أشد المواقف تفاهة، بحيث إننا لا نكاد نتخيل كيف يمكن الحرية أن تعمل ؟ وكيف يتسنى لنا أن نستخدمها؟ أو كيف يمكن أن يكون لها أي استخدام لدينا عندما يجب القيام بأي عمل جدى ؟ ففي زماننا هذا يبدو الطراز المندمج – العسكرى – الطراز الوحيد الذي لنا به دراية، ولنا به ثقة وإيمان؛ فإن معظم الناس –حتى فى الدول الديموقراطية– يميلون إلى أن يروا في الديموقراطية عملية معقدة لاختيار رؤساء يتعين على الجميع بعد ذلك أن يطيعوهم، مع إضافة فرق واحد يسير جدا و هو أننا في كل فترة معينة يتاح لنا اختيار طاقمًا جديدًا من الرؤساء" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٥)، أي أن "الحرية" رغم أنها لفظ شائع الاستخدام بين العامة والمثقفين على حدٍ سواء، إلأ أنه لا يعدو أن يكون إلا مجرد شعار أجوف دون معنى حقيقي، فاستخدام اللفظ لا يعني بالضرورة الوعي بميكانيزم وآلية عمل الحرية، وبالتالي القدرة على استخدامها والتمتع بها في جميع مجالات الحياه؛ لذا يؤكد "هولت" على أن "الحرية لفظ نستخدمه بصورة سيئة وغريبة، ويبدو أننا نخافه"(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٢٩)، كما يقتصر استخدام الحرية على حدها الأدنى في المجال السياسي؛ متمثلاً في اختيار الرؤساء، بينما الحرية بمعناها العام في الحياه الواقعية المُعاشة فغائبة بشكلٍ كبير.

ولقد تعددت معاني الحرية فهي تعني عند ملايين من الناس "ترك الحبل على الغارب للناس في كل ما يصنعون، فإذا تركتهم يفعلون كل ما يريدون ارتكبوا أموراً سيئة"؛ ويقصد بها أخرين "انتزاع السوط من يد المشرف على العمل، واستخدامه لجلد ذلك المشرف حتى الموت ! أما تصور العالم بغير سياط وبغير مشرفين على العمل؟ فهذا هو المستحيل"؛ حيث يرى البعض "إن أي تنظيم بشرى لابد من وجود رئيس فيه، ولا عليك من يكون هذا الرئيس ! بل عليك أن تصنع ما يأمر به " (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٣٠) ، فطالما سُمح للأفراد أن يختاروا الرئيس يجب أن يتم تسليمه السلطة بشكلٍ كامل، وعلى جميع الأفراد الطاعة الكاملة له.

أما عن حدود الحرية فقد أشار "هولت" إلى رفض غالبية الكبار لمنح الصغار الحرية حيث قالوا:"إن فكرة الحرية للأطفال هُراء، فالأطفال بحاجة إلى حدود" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٣٢)، وهذا الكلام مرتبط بفكرة أن الحرية معناها "ترك الحبل على الغارب" والتي يجدها "هولت" مسألة خاطئة؛ حيث أن الحرية وممارستها بهذا المعنى تعني :عدم وجود قيود أو حدود، ويؤكد "هولت" على أنه "لا توجد حياة بدون قيود" فالسؤال هنا ليس هل هناك حدود أم لا؟ ؛ بل ما مقدار ما يتاح لنا من الخيار داخل نطاق هذه الحدود؟، لذا فالفرق بين "المجتمع الحر"، و"المجتمع غير الحر" ليس في وجود حدود في "المجتمع غير الحر"، وعد وجوده في "المجتمع الحر"؛ بل أن ما يُميز "المجتمع الحر" عن "المجتمع غير الحر" يتمثل في أمرين هما؛ " الأول: أن قواعده في معظمها نواه لا أوامر، والثاني: أن المنهي عنه واضح ومحدد وهذه السمة الأخيرة لا تقل أهمية عن السمة الأولى" (هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص٣٥).

أما عن السلطة فقد أشار "هولت" على أن "أغلب المشاحنات بين البالغين والأطفال التي رأيتها يثيرها البالغون بدون داع، فقط حتى يؤكدون على أنهم أصحاب السلطة أو السيطرة"، وحذر "هولت" من ذلك الصراع حول السلطة – والتي لم تكن موضع شك من الأصل– والتي قد تتسبب في في تأكل السلطة شيئا فشيئا، إلى أن تتلاشى بشكلٍ كامل، فالسؤال في هذا المجال لم يكن ولن يكون: من هو صاحب السلطة؟ لأن أصحاب السلطة هم الكبار سواء كانوا آباء أم معلمين، ولكن السؤال الأهم هو كيف يمارس الكبار سلطتهم على الصغار، أي كيف تمارس السلطة؟(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨)

وفيما يخص الاختيارفقد أشار "هولت" في كتابة "الحرية وما وراءها" تحت عنوان "مشكلة الاختيار" مشكلة تخيير الأطفال بمعنى أنه "إذا تركنا للأطفال الحرية في أن يختاروا ما يدرسونه، وكيف ومتى يدرسونه؟ وكانت النتيجة أنهم لم يختاروا شيئاً، ولم يصنعوا شيئاً"(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١١٥)، فهذه هي: " مشكلة التخيير"؛ والتي تُشير إلى أن الأطفال – من وجهة نظر البعض– لا يحسنون الاختيار، وأرجع "هولت" هذه المشكلة (مشكلة الاختيار) إلى عدة أسباب تكمن وراء عزوف الأطفال عن الاختيار ومن أبرز هذه الأسباب؛ عدم ثقة الأطفال في جدية هذا العرض (أن يختاروا ما يرغبون) من قِبل البالغين وذلك من واقع خبراتهم السابقة، أو لعدم ثقتهم في أنفسهم وقدراتهم على الاختيار؛ لعدم اعتيادهم على هذا الأمر، أو لعدم ثقتهم في أن الكبار يقصدون من وراء ذلك العرض تحقيق رغبات الطفل؛ حيث أن الكبار قد يقصدون من وراء تقديم ذلك العرض تحفيز الطفل على بذل مزيد من الجهد في تعلم ما

يرغبون في تعليمهم، كما قد يرجع عدم اختيار الأطفال لعدم وجود بدائل للاختيار بينها، أي لفقر البيئة المدرسية وقلة مصادر التعلم(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص ص١١٦-١٢١)، أي أن سبب الرئيس لعزوف الطلاب عن ممارسة حقهم في الاختيار هو "عدم الثقة" سواء ثقتهم في أنفسهم أم ثقتهم في الكبار ؛ لذا فمعالجة هذا الأمر يتطلب بذل المزيد من الجهد والوقت لإعادة بناء الثقة بين الصغار والبالغين.

ولقد قدم "هولت" اقتراحًا للمساهمة في حل "مشكلة الاختيار" حيث قال: "حينما نبدأ في جعل فصولنا مفتوحة قد يجعل هذا التغيير أسهل على الجميع إذا نحن – بدلاً من عرض خيار واسع منذ البداية – وسعنا نطاق الخيار تدريجيًا وببطء، فإذا قلنا لطالب قد تعود على الفصول التقليدية : ولك الآن أن تختار صنع أيما شيء تريده، فقد لا يصنع شيئاً، أما إذا قلنا له بدلًا من ذلك: "تستطيع أن تختار بين هذين الأمرين، أو الثلاثة، فقد يجعله ذلك أقدر على الاختيار"(هولت، ١٩٧٨،١٩٧٢، ص١٢٨).

أما عن الانضباط وعلاقته بالحرية فقد انتقد" هولت" المعنى الشائع لمفهوم الانضباط، فالانضباط عند البعض يعني "المزيد من القسر، والمزيد من التهديد، والمزيد من العقاب، والمزيد من الخوف، بل المزيد من الخوف قبل كل شئ"؛ بحيث يخيل إلى "هولت" أن: "إعادة النظام والإنضباط له الأهمية الأولى –حتى قبل المنهج– في مدارس هذا الوطن"(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨، ص١٤٨)، ولكن "هولت" يرى أن كلمة الانضباط لها معانٍ أهم بكثير من المعنى الشائع، فالطفل في مراحل نموه يتعلم من ثلاثة أنواع من الانضباط مختلفين حسب مصدرهم وهي؛ النوع الأول: انضباط الطبيعة، وهذا النوع من الانضباط هو معلم يُعلم الطفل، ويأتي بالنتائج المرجوة بسرعة، ومصدر الانضباط هو الطبيعة، وهو مصدر محايد (غير متحيز)، لا يمكن تملقها ولا تُقدم آراءً ولا تصدر أحكاماً ولا تمدح أو تلوم؛ فعلى سبيل المثال عندما يحاول الطفل البناء فوق سطح منحدر فسوف يسقط البرج الذي يحاول إقامته من المكعبات، وإذا دق على المفتاح الخاطئ سمع النغمة الخاطئة، والنوع الثاني: "إنضباط الثقافة" أو ما يمكن تسميته "إنضباط المجتمع"، ويتمثل في أن الأطفال يلتزمون بالعادات، وتقاليد، والأعراف، والقواعد السائدة في المجتمع، ويقلدون ما يفعله الكبار، فعلى سبيل المثال قلما يسئ الأطفال السلوك في الكنيسة بل يجلسون هادئين كما يفعل الكبار، والنوع الثالث: انضباط القوة العليا أو الرقيب للجند، وهو أكثر أنواع الانضباط الذي يعنيه معظم الناس والمتمثل في الأوامر التي تُلقي من الكبار والتي يجب أن يطيعها الصغار دون نقاش، وفي بعض المواضع أو

المواقف تتداخل أنواع الانضباط الثلاثة؛ حيث أن النشاط البشري أمر مُعقد قد يجمع بين انضباطات الطبيعة، والثقافة، ووالقوة العليا.(هولت، ١٩٧٢، ١٩٧٨)

وبناءً على ما سبق يمكن استنتاج الأتي:

- ارتبطت الحرية بعدة مفاهيم، ولا يمكن فهم الحرية دون تحديد معنى هذه المفاهيم وهي: السلطة، والاختيار، والحدود، والانضباط.
- الحرية مفهوم يُعاش وليس مجرد شعار يرفع.
- الحرية تُمارس في جميع مجالات الحياه، وهي حق لجميع أفراد المجتمع كبارًا وصغارًا.
- لا حرية بدون حدود، لكن كلما كانت هذه الحدود واضحة ومحددة وأكثرها نواهي وليست أوامر كلما ساهم ذلك في ممارسة الفرد لحريته بشكل أكثر فاعلية.
- الاختيار ليست مشكلة في حد ذاتها ؛ فعجز الطفل عن الاختيار لا يعكس عدم صلاحيته أو عدم نضجة الكافي لكي يختار، إنما قد يدل على تربية الطفل تربية قسرية إجبارية يسودها القسر والإجبار لفترات طويلة الأمر الذيجعله غير مُعتاد على ممارسة حقه في الاختيار، كما قد يرجع إلى عدم وجود بدائل حقيقية في البيئة التعليمية يختار بينها الطفل ما يريده.
- لا خلاف أن مصدر السلطة في البيئة التعليمية للكبار، ولا داعي للصراع حول اثبات هذا الأمر والدفاع عنه، ولكن الأولى هو: البحث حول أفضل الطرق لممارسة السلطة بدون أن يعوق ذلك ممارسة الطفل لحريته.
- يُعد " الانضباط" مسألة هامة وضرورية في البيئة التعليمية، ولا تعارض بين تحقيق الانضباط، وممارسة الحرية: ولكن قصرالانضباط على نوعه الثالث المتمثل في تحقيق الانضباط عن طريق الأوامر والنواهي والعقاب هو ما يعيق ممارسة الطفل لحريته.

ثالثًا/ التطبيقات التربوية لأفكار"جون هولت":

تُعد التطبيقات التربوية بمثابة الترجمة الحية الواقعية لأفكار "جون هولت"، فهي تستمد أهميتها من تحويل أفكار "جون هولت" الثورية الرائدة من صفحات كتبه؛ أي من الصورة النظرية إلى ممارسات حية ومؤثرة داخل المدراس والمنازل على حدٍ سواء، و لعرض التطبيقات التربوية ستم عرض المبادئ التربوية العامة والأفكار الكبرى والمستخلصة من مجمل آرائه التي

وردت بكتب "جون هولت" والتي تم عرضها بشكلٍ تفصلي في المحور السابق، ثم عرض كيفية الاستفادة منها في الواقع التربوي المصري.

بتحليل أراء وأفكار "هولت" التربوية من واقع ما ورد يكتبة الخمسة المُختارة يمكن استخلاص ألمبادئ التربوية عند "هولت" في الأتي:

١- الدعوة إلى " التعليم غير المدرسي" Unschooling، وما ارتبط به من " التعليم المنزلي"Homeschooling

٢- استحداث أدوار جديدة للمعلم في سبيل تحقيق تعلم حقيقي.

٣- إعادة النظر في مفهوم التعلم، فالتعليم عملية طبيعية كالتنفس(التعلم ميل طبيعي وفطري عند الطفل).

٤- الإيمان بحرية المتعلم، وحقة في توجيه وإدارة تعلمه.

٥- أهمية اللعب في تعليم الطفل.

٦- الأسرة شريك في عملية التعلم .

٧- احترام إيقاع ووتيرة الطفل في التعلم(تفريد التعليم).

٨- الثقة في الطفل وقدرته على التعلم.

٩- فاعلية التعلم القائم على النشاط والممارسة والتجربة.

١٠- ضرورة توفير بيئة تعليمية طبيعية وآمنة وثرية.

وبناءً على المبادئ التربوية السابقة الذكر يمكن اقتراح عدد من التطبيقات العملية قد تُفيد في السياق التربوي والتعليمي المصري، وأبرز هذه التطبيقات ما يلي:

١- إعادة النظر في تخطيط وتصميم برامج إعداد وتدريب المعلمين في كليات التربية، لتوعيتهم وتبصيرهم بأدوارهم الجديدة، وتدريبهم على ممارستها، وأهم هذه الأدوار هي:

- دور المعلم كمُيسر وموجه، وليس مُلقن أو خبير؛ بمعنى أن يتخلى المُعلم عن دورة التقليدي الذي يعكس أنه من يمتلك المعرفة وحده ، ويستبدله بدورة في مساعدة المتعلم في رحلة تعلمه وتوجيه إلى مصادر وأدوات التعلم.
- دور المعلم في تهيئة وإعداد بيئة التعلم بما يجعلها بيئة آمنة وثرية ومُشجعة للمتعلم.
- دور المعلم في تقديم الدعم المادي والمعنوي للمتعلم.
- دور المعلم كمشارك للمتعلم في أنشطة التعلم المختلفة.
- دور المعلم كمتعلم مع ومن المتعلمين بما يتطلب تبنى المعلم لعقلية (معلم متعلم).

٢- إتاحة مقررات تعليمية متنوعة ومرنة يُسنح للمتعلم الاختيار من بينها ودراسة أي منها.
٣- التنوع في الوسائل التعليمية المستخدمة مع المتعلمين ، وذلك لتتناسب مع شخصيات المتعلمين المختلفة ولتلبية احتياجاتهم المتنوعة.
٤- إلغاء الجداول الدراسية الصارمة واستبدالها بجداول دراسية أكثر مرونة تتيح للمتعلمين دراسة ما يريد في الأوقات التي يُفضلها.
٥- تخصيص أوقات حرة داخل اليوم الدراسي يُسمح فيها للمتعلم بممارسة أي نشاط يناسبه دون التقيد بوقت أو مكان مُحدد.
٦- استبدال السلم التعليمي الجامد بشكل أخر أكثر مرونة مثل الشبكة التعليمية أو الشجرة التعليمية؛ بحيث يُسمح للمتعلم بالانتقال من مسار لأخر ومن صف لأخر بشكل أكثر سهولة.
٧- توفير مكتبة متنوعة من الكتب، والمجلات، والموسوعات، والمراجع في كافة المجالات.
٨- توفير أدوات وأجهزة تُعين الطفل على الاستكشاف مثل؛ الميكروسكوبات، والتليسكوبات، والخرائط، وأجهزة وأدوات القياس.
٩- الاستفادة من التكنولوجيا عن طريق توفير أجهزة الكمبيوترات الموصلة بالانترنت والمدعمة ببرامج وتطبيقات الذكاء الاصطناعي.
١٠- إعادة تصميم الفصول الدراسية؛ بحيث تكون مفتوحة على المجتمع ، سواء كان ذلك على المستوى المادي؛ أي أزالة الحوائط والأسوار والنظر للفصول كونها جزء من المجتمع الحقيقي، أو المستوى المعنوي بمعنى تحقيق التواصل بين المتعلم وبيئته: أي إزالة الحواجز والحدود التي تجعل من التعليم حدًا فاطلًا بين المتعلم ومجتمعة، ويتم ذلك عن طريق استضافة شخصيات حقيقية داخل الفصول ، وإرسال المتعلمين للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية داخل المجتمع.
١١- تنظيم أنشطة طلابية للتعبير الحر سواء بشكلٍ شفوي أو كتابي أو حتى عن طريق الرسم أو الموسيقى؛ بما يتيح للطلاب التعبير عن أنفسهم، وإبداء أرائهم بحرية.
١٢- الاستعانة بالطلاب في تحديد موضوعات الدروس والتخطيط لها ، وذلك عن طريق إجراء حوارات والسماع للطلاب للتعرف على ما يرغبون في معرفته ودراسته بدلًا من فرض موضوعات دراسية مُحددة مسبقًا.
١٣- تخصيص زوايا وأركان للقراءة تكون هادئة وتحقق الخصوصية للقارئ؛ بما يجعل من القراءة تجربة ممتعة، فيتحول الطالب إلى" موا طن" في " عالم الكتب"، ذلك بدلًا من أن تكون

القراءة واجب مفروض وتجربة تسبب الاحراج للمتعلم، خاصةً إذا ما كانت قراءة علنية أما أقرانه.

١٤- تشجيع التعلم التعاوني بدلًا من التعليم التنافسي؛ أي يتعلم الطفل من خلال مشاركته مع أقرانه في الأنشطة و المشاريع التعليمية.

١٥- طرح المشروعات الواقعية ليتعلم الطفل من خلال المشاركة فيها، وهو ما يربط بين التعلم من جهة والحياة الواقعية للأطفال من جهة أخرى، وهذا ما يُسمى "التعلم القائم على المشروع"(Project – based learning)

١٦- توظيف اللعب الحر والموجة كوسائل تعليمية فعّالة في تعليم الأطفال.

١٧- تخصيص أوقات خلال اليوم الدراسي يسمح فيها للطفل بممارسة اللعب الحر.

١٨- مشاركة أولياء الأمور في وضع خطط وبرامج التعليم ، والمشاركة في اختيار كلٍ من المحتوى التعليمي وأساليب التقويم المناسبة لأطفالهم.

١٩- توفيرأنشطة تعليمية واقعية يمكن للمتعلم تنفيذها في المنزل.

٢٠- تنظيم ورش عمل ومجموعات تعليمية تضم أطفال من أعمارمختلفة بما يوفر ما يسمى "نموذج الكفاءة الأقرب"(The closest competency model) للمتعلمين، ويُكسب الأكبر سنًا قيم تحمل المسؤولية، والاعتماد على النفس، ويجعل مجتمع التعلم أشبه بالمجتمع الطبيعي الواقعي(متعدد الأعمار، والمستويات، والخلفيات الثقافية، والقدرات، والمهارات)، وهو ما يُسمى "التعلم متعدد الأعمار" (Multi-age learning)، و"التدريس متعدد المستويات" (teaching Multi-grade).

٢١- تخصيص أوقات لتعليم الطفل المهارات الحياتية إلى جانب المعارف الأكاديمية الأساسية مثل مهارات التخطيط، ومهارات تنظيم الوقت ، ومهارات اتخاذ القرار، ومهارات التخطيط المالي، ومهارات الطهي الأساسية، والمهارات الخاصة بالإسعافات الأولية.

٢٢- إتاحة فرص التخصص المبكر للمتعلمين وفق ميولهم واهتماماتهم، الأمر الذي يتطلب توفير مسارات تعليمية متنوعة والسماح بالانتقال خلالها بسهولة.

٢٣-الابتعاد عن أساليب التقييم التقليدية المتمثلة في طرح الأسئلة والأختبارات، واستبدالها بأساليب أخرى مثل اختبار مدى تعلم الطفل من خلال تعريض الطفل لمواقف جديدة ومراقبة كيف سيتفاعل مع هذه المواقف بما تم تعلمه، والحديث الحر والمناقشات المفتوحة مع الطفل والتي تكشف عما تعلمه وما الذي يريد تعلمه .

٢٤- توفير خيار " التعليم المنزلي" كصيغة تعليمية بديلة عن التعليم المدرسي التقليدي ؛ الأمر الذي يتطلب ما يلي:

- سن التشريعات والقوانين المنظمة لهذه الصيغة التعليمية بما يكسبها الصبغة القانونية.
- تصميم برامج تعليم منزلي مرنة.
- تحديد أساليب التقويم المناسبة لهذا النوع من التعليم.
- توعية الأباء والأمهات بدورهم التربوي تجاه أبنائهم وتدريبهم على كيفية القيام به.
- طرح مسألة تنظيم وتقنين وتطبيق "التعليم المنزلي" للحوار على المستويين ؛ الأكاديمي التربوي من جهة، والشعبي المجتمعي من جهة أخرى.

وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت الفكر التربوي عند "جون هولت" وتطبيقاته التربوية يتضح أن "هولت" هو أحد أبرز المفكرين في ميدان التربية الحديثة الذي اشتهر بانتقاداته الحادة لنظام التعليم التقليدي، وبدعمة للتعلم الذاتي والتعليم المنزلي،وقد أثر في تشكيل وبلورت أفكاره التربوية مجموعة من العوامل منها؛ طبيعة طفولته، وعملة بالبحرية، وعضويته في منظمة سلمية، وكذا تأثره بأصحاب الفلسفات التحررية من أمثال إيفان إلتش، وكذا عمله بكثير من المدارس وأهتمامة بملاحظة ومراقبة الأطفال في المواقف الطبيعية.

ولقد قدم " هولت" رؤية تربوية شاملة ركزت على حرية الطفل واحترام فضوله الفطري، وإزالة القيود التي تفرضها النظم التعليمية التقليدية وتحرير التعلم من قيودها الصارمة، وإعادة الثقة في المتعلم وقدراته، والنظر إليه كفاعل في بناء منظومته المعرفية لا مستودع لتخزينها، وإعادة تعريف كلٍ من مفهوم عملية التعلم، والمعلم، والمتعلم؛ وطبيعة المؤسسة التعليمية؛ أي أن أفكار "هولت" قد نقلت التعليم من تعليم قائم على السلطة والقيود والطاعة، إلى تعليم يرتكز على الثقة والاحترام والحرية، ولقد تجاوزت أفكار" هولت" زمانه فهي تتماشى مع التوجهات الحديثة في التربية الداعية إلى التعليم الديمقراطي، وتفريد التعليم، وتحرير الطفل، التعليم متعدد المستويات، والتعليم المرن وغيرها من المصطلحات الحديثة في مجال التربية، وظهر ذلك جليًا في المفاهيم التربوية التي ركز عليها "هولت" وأعاد تعريفها بشكلٍ جديد ومنها؛ مفهوم الطفولة ومفهوم الحرية ، ومفهوم حقوق الطفل وغيرها من المفاهيم التي عرضتها الدراسة.

ومع أن أفكار"هولت"قد لا تخلو من التحديات عند تطبيقها في النظم التعليمية السائدة، إلا أنها قد تكون خطوة في سبيل إصلاح النظم التعليمية التقليدية، والتغلب على المشكلات التي

يعاني منها النظام التعليمي المصري؛ لذا توصي الدراسة الحالية بمزيد من البحث والتأمل لدمج بعض مبادئ وأفكار "هولت" في الممارسات التربوية المعاصرة؛ خاصة فيما يتعلق بالتعلم الذاتي، وتوفير بيئة تعليمية غنية ومرنة، وإعادة الثقة في المتعلم وقدراته، وتوفير مسارات تعليمية متعددة تتناسب مع اهتمامات وميول المتعلمين، وإعادة النظر في أساليب التقييم التقليدية، وتفعيل صيغة "التعليم المنزلي "في السياق التربوي المصري.

المراجع

أولاً: المراجع باللغة العربية

- أبوجلالة، صبحي حمدان.(٢٠٠١).*أصول التربية بين الأصالة والمعاصرة*.مكتبة الفلاح.الكويت
- أمين، سمير، وأوتار،فرنسوا.(٢٠٠٤).مناهضة العولمة: حركة المنظمات الشعبية في العالم.مكتبة مدبولي، القاهرة.
- رضوان، وائل توفيق، علي، محمد السيد،وقوطة، مروة ماهر.(٢٠٢٠).دور الميثاق الأخلاقي لمهنة التعليم في الحد من بعض المشكلات التعليمية في مصر.مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة ،ع(٢٢١)،٣٤٩-٣٨٠.
- زيادة، مصطفى عبد القادر.(٢٠٠٦).الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره.مكتبة راشد.القاهرة.
- السمان، أحمد علي أحمد، رجب، مصطفى محمد أحمد، محمد، عبدالمنعم محمد، وعبدالعال، نجلاء عبدالتواب عيسى. (٢٠٢٢). منظومة التعليم المنزلي في مصر في ضوء خبرات بعض الدول.مجلة كلية التربية جامعة بني سويف، مج ١٩ ، ع ١١٤ ، ٣٤ – ٦٢
- طانيوس، جورجيت بشرى.(٢٠٢٢).البحوث الإجرائية ودورها في مواجهة بعض مشكلات التعليم الأساسي في سوهاج.*مجلة الثقافة* والتنمية، كلية التربية بجامعة سوهاج،٢٢ (١٧٧)،٦٩-١٢٤
- عبد العال،أسماء سعد عبد الله،زرزور،محمود حسين علي،وحسن،منال موسى سعيد.(٢٠٢٠).رؤية مقترحة لعلاج بعض مشكلات التعليم الإبتدائي في محافظة الوادي الجديد في ضوء متغيرات القرن الحادي والعشرين.المجلة العلمية لكلية التربية، كلية التربية بجامعة الوادي الجديد،ع(٣٢)،٢-٢٤.
- علي، الحاج أحمد.(٢٠١٣).أصول التربية.دار المناهج للنشر والتوزيع.عمان
- علي،سعيد إسماعيل.(٢٠٠٦).الفكر التربوي العربي الحديث.المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت،ع(١١٣)
- معوض، أسماء حمدي السيد،حسين، سلامة عبدالعظيم،ورسمي،محمد حسن.(٢٠١٨).مشكلات التعليم الأبتدائي في مصر وكيفية مواجهتها.مجلة كلية التربية ببنها،ع(١١٦)،ج(٤)،٣٨٥-٣٩٩.
- ملكاوي،فتحي حسن.(٢٠٢٠).الفكر التربوي الإسلامي المعاصر: مفاهيمه ومصادره وخصائصه وسبل إصلاحه.المعهد العالمي للفكر الإسلامي.عمان الأردن.
- نسيم، وجدي خيري.(٢٠٢٣).نحو مجتمع بلا مدارس: قراءة في فلسفة إيفان إيلتش.*مجلة كلية الآداب جامعة بور سعيد ،ع(٣٣)*،٣٤٢-٣٨٤.
- هولت، جون.(١٩٧٨).*الحرية وما وراءها* (نظمي لوقا، مترجم).دار المعارف.(١٩٧٢).

ثانياً: المراجع باللغة الإنجليزية

Allen, Mel.(1981،December). The education of John Holt. *Yankee magazine* (Available from Holt Associates)

Archard, D. (٢٠04). Children: Rights and Childhood. Routledge.

Byrne, B. (2016). Do Children still need to Escape Childhood? A Reassessment of John Holt and his Vision for Children's Rights. *International Journal of Children's Rights*, *24(1),* 113-134.

Dennison,George.(1969). *The Lives of children:the story of first street school.*Penguin Books.

Fortin, J.(2005) .*Children and the Developing Law.*Cambridg University Press.

Freeman, M.(2007). "Why it remains important to take children's rights seriously،"*International Journal of Children's Rights*, *15(3)*, 5-23.

Holt, J.(1974). *Escape from Childhood* . Penguin .

Holt, John .(1964). *How children fail*. Pitman Publishing Corp.

Holt, John .(1967). *How children learn*. Pitman Publishing Corp.

Holt, John .(1969*). The underachieving school.*Pitman Publishing Corp.

Holt, John .(1970). *What do I do Monday?* . Dutton.

Holt, John .(1971). *Freedom and beyond*. Dutton.

Holt, John .(1974*). Escape from childhood.*Dutton.

Holt, John .(1976). *Instead of education: Ways to help people do things better.* Dutton.

Holt, John .(1978). *Never too late: My musical life story*. Delacorte Press.

Holt, John .(1981). *Teach your own: A hopeful path for education*. Delacorte Press.

Holt, John .(1989). *Learning all the time*. Addison-Wesley.

Levine, Gerald .(1974). *Review of Escape from childhood*. New York Times Book Review.

Nordberg, Robert B. (1974*). Review of Escape from childhood*. Best Sellers.

Purdy, L.(1994). Why children shouldn't have equal rights, *International Journal of Children's Rights*, *2(3),* 223-241.

Sheffer, S. (1990). *A life worth living: Selected letters of John Holt.*Ohio State Univ. Press.

http://www.Johnholtgws.com/resources/what-is-Unschooling.